

مكتبة الرواد

وهو يحتوي على الدروس التاريخية المقررة للتلاميذ المدارس الثانوية
حسب آخر بروجرام أصدرته نظارة المعارف العمومية

« تأليف »

مُصطفى صبري

(العضو بجمعية الاقتصاد السياحي والاحصاء والتشريع الخديوية)

وأحد أعضاء نادي المدارس العليا

* مقرر السنة الرابعة من المدارس الثانوية

(لطلبة شهادة « البكالوريا المصرية »)

— جميع الحقوق محفوظة للمؤلف —

— ٣٥٥٨ —

١٣٣٩ هـ (الطبعة الأولى) ١٩١١ م

مطبعة المحرق



صورة المؤلف

كتاب الحجة

وضعت الجزء الأول من كتاب (تحفة الأنام في التاريخ العام) مختصر الحوادث بما يلائم قوة المبتدئين الذين هم حديثو العبد بالمدارس الثانوية ولذا لم أتوسع في الموضوع عملاً بروح برنامج نظارة المعارف العمومية والافنحن قادرون على الاتيان بأضعاف اضعافه فنكون قد أرهقنا عقولهم وخرجنا عما قصدنا من الطريقة الراقية في سهولة تعليم الاحداث !!

غير اني توسعت نوعاً ما في الجزء الثاني وذلك لزيادة معلومات تلاميذ الفرقة الثانية وقدرتهم على الحفظ والمشاركة ولما كانت الحالة التعليمية في نمو مستمر شأن كل شيء في هذه الحياة الدنيا رأيت ان أتوسع في الاجزاء المقررة على تلاميذ الفرقتين الثالثة والرابعة وذلك لنمو قواهم الإدركة وحبهم الغريزي في الاقتباس وافعام الذاكرة بما يكسبها أكاليل

الفخر وشارات الظفر في يوم ان تحاسب على عملها وتكافأ على ما تلقت .

لهذا كله توخيت الاسهاب الموافق للتعليم الثانوي الراقى حسب رغبة واضع البرنامج الجديد . بحيث يغني التلاميذ عن الاسفار المطولة التي ربما تضيق على بعضهم ثمين وقته وهو في حاجة قصوى الى معالجة علومه الأخرى !!

وهذا بلا ريب ما دفعني بعامل الرأفة الى الاسهاب في كتاب (مبادئ العلوم السياسية والتاريخ الدستوري) لينتفع به سائر أفراد الأمة الكريمة بما قد لا يتاح للقليل الوقوف على معلومات ضرورية بنيت على أساسها المدنية الحاضرة وتلك النهضة العصرية الباهرة بيداني صودفت بصعوبات جمة في سبيل استخراج هذا الجزء وذلك لأن (تاريخ الرومان) دوّن بعبارات مختلفة في كتب شتى غامضة العبارة وأغلب المؤرخين يبنون القصور الضخمة على انقاض حوادث وهمية لم يتمحصوها ولذا فاني كابدت مشاق عظيمة في مطالعة أهم الكتب الحديثة التي تدرس في الجامعات الأوربية وفحصتها جيداً فلم أدوّن في كتابي هذا حادثة الا بعد مناقشتها امام محكمة العقل

ومقابلتها بمؤلفات مؤرخي الرومان أنفسهم وما يدرس من الكتب الشهيرة في الجامعات الأوربية واني بكل أسف لم أر في لغتنا الشريفة العربية كتابا شافيا عن تاريخ هذه الأمة الرومانية المجيدة .

هذا ولما كان (تاريخ الرومان) هو علم السياسة بمعناه الحقيقي بحيث ان من لم يدرسه جيداً لا يعتبر سياسياً وان الأمم الأوربية مهتمة بتدريسه في جوامعها وجامعة (القانون الروماني) قاعدة لشرائعها وان لغتنا العربية مفتقرة الى كتاب وفق برنامج المدارس الثانوية دفعتني الغيرة الى اخراج هذا السفر . هما كافني عقلياً ومادياً اجابة لطلبة شهادة الدراسة الثانوية وبعض الموظفين الذين يحضرون في منازلهم والمنصفين الذين قدروا عملي حق قدره . هذا واني رجل لا تزيد جعجة الحاسدين الا نشاطاً وتثييط المرتجعين الا اقداماً سواء عليه قرر كتابه بصفة رسمية في مدارسنا المصرية او لم يقرر أتى بتكاليفه او جرّ خسائر يده انه يرضي ضميراً حياً وقلباً خفاقاً يلتهم جذوة على اسعاد بلاده واحياء ما اندثر في لغة الآباء والأجداد اذ يهيمه أن يقوم ببعض الواجب

وان كان ليس بخير من كتب ولا بأ كفاً من صنف وخطب
 هذا واني ان شاء الله لا أدخرن جيداً في التحسين
 والشرح كلما ظهرت طبعة جديدة مع اضافة الزيادات
 والتعديلات التي يوجبها البرنامج على التلاميذ ولا أماري
 ان ذلك قد يشاهد الآن في هذا الجزء وما سبقه ولعل هذا
 الاسلوب المتكرر يسر المعلمين والمتعلمين وكل محبي دراسة
 العلوم التاريخية على الطريقة التدريجية وهي من الأسهل
 الى السهل والتي أقرها وامتدحها سعادة الفريق المؤرخ
 المحقق اسماعيل سرهنك باشا .

فاللهم بلغنا الآمال انك نصير العاملين في الحال
 والاستقبال م

« مصطفى صبري »

الباب الاول

- مقدمة عمومية -

(في تأسيس مدينة رومية وتاريخها القديم)

ان التاريخ القديم لمدينة « رومية » مجهول ولقد عني بعض مؤرخي القرن الأول يذكر وقائع خرافية عنه حتى ان لكل مؤرخ عبارة تختلف تمام الاختلاف عن عبارة غيره . بيد ان المؤرخين ومحبي الاطلاع ظالوا يثقون عن أصل تلك الحوادث التاريخية متبعين الطرق الموصلة لرفع ثام الجبال حتى اهتدى مؤرخو القرن الخامس الى ذكر بعض حوادث تاريخية معقولة خالية من شوائب الخرافات وان كانت عديمة القيمة التاريخية وذلك لعدم وجود أناس متخصصين يعرفون قراءة تلك الآثار الرومانية القديمة ليظهروا ما استتر تحت طي الزمان وما غير الحداث وتعاقب على مروره الملو ان . ونحن لانحار ان خبرنا بالسباب هؤلاء في كتاب الذين يخوضون في العوائد الرومانية القديمة والآثار البائدة عرض الخاطئ فلا نركن اليها سوى بعض حقائق

أندرس من الكبريت الأحمر قد يسلم بها الذوق السليم والعقل الحكيم . ومما جاء في تلك الخرافات المشهورة والتي تدرس في الجامعات ان حاكم مدينة (البالونجا) كان ملكا جباراً يدعى (عمولياس) نهب أخاه ولي عهده وأمر بقتل أولاده وكانت إحدى كريماته وضعت ولدين توأمين من زوجها آله الحرب فأمر (عمولياس) المذكور أن يلقي أحياه في نهر (التيبر) ليغرقا فيخاء له الجو من نسل أخيه ولكنهما سبحا على ظهر الماء وصارت الأمواج تتقاذفهما حتى رسيا على المحل الذي بنيت عليه (مدينة رومية) الآن ويقال ان ذئبة أرضعتهم .

وفي رواية جديدة بالتصديق : ان التي أرضعتهم هي زوجة رئيس رعاة الملك وكانت تدعى (ذئبة) فالتبس ذلك على ناقل الترجمة عن الاصل اللاتيني لاقتضاب العبارة ورعاة كان ذلك ضعفاً مادياً من الواضعين . وبعد ان أرضعتهم تلك الذئبة لمحمها راع فأخذها ورباهما ولما بلغا الثمانية عشر عاماً أرسلها لجدتها (نوميتور) وذلك لخلاف شجر بينهما وبين الرعاة وأخيراً تعرف بهما فأقسما أن يثأرا له من الملك

(عمولياس) الذي ذبحاه ومثلا بجثته ثم أعادا جدهما معظما
 مكرما على عرش (البالونجا) وكان يسمى احدهما (ريموس)
 والثاني (روميولوس) فأمرهما (نوميتور) أن يبنيا مدينة
 فسيحة على نهر (التير) فوق تل (البلاتين) وذلك اضيق
 مدينة (البالونجا) بسكانها . ومن ثم أشاجر الاخوان ودبت
 بينهما عقارب الحسد والبغضاء اذ اختلفا ايهما صاحب
 المدينة فقتل (ريموس) في اثناء هذه المشاجرة ولذا صفا الجو
 (لروميولوس) وبنائها سنة ٧٥٣ ق . م وسماها (رومية)
 نسبة الى اسمه ونودي به ملكا عليها فدرب أهلها على
 الحرب والضرب والطعان وكان يبلغ عددهم ٣٠٠٠ نسمة ثم
 ان أباد آله الحرب تاقت نفسه الى ابنه فأصعده اليه في السماء
 (١) فأصبح (روميولوس) هذا من معبودات الرومان .
 وكان بناء هذه المدينة على مسافة خمسة عشر ميلا من مصب
 نهر التير أحيطت بأسوار عالية ولما ازداد أهلها اضيفت الى
 مساحتها سبعة تلال تدريجيا .

(١) الحقيقة ان رجال حكومته تأمروا عليه فقتلوه وأذاعوا
 زورا وبهتانا بانه رفع الى السماء فصديق الجهلاء هذا القول الهراء

ومما يؤثر عن مؤسس مدينة رومية انه جعلها ملجأ عاماً
 منهاجري الولايات المجاورة لها وفتح أبوابها للوافدين عليها من
 أمشاج الناس وأضاف اليها مستعمرات عديدة اغتصبها من
 مجاوريه ولقد ظل من تبعه من الملوك يزيدون في مساحتها
 وقيل انه دعا قبيلة (السابين) المجاورين لرومية وغدر بهم ثم
 فرق بناتهم على رجاله لقتل نساء مدينته وهو أول من قسم
 مملكته الى ثلاث طبقات وهي الاشراف والعامّة والفرسان
 ويقال ان الاهالي بعد صعود الملك والمعبود (روميولوس)
 انتخبوا (نوما پومپيليوس) ملكا عليهم ومما روى عنه انه كان
 محباً لحقن الدماء وقد صرف سائر أيامه في تقنين القوانين وسن
 المشرائع وعلمهم الدين ومبادئ العلوم وتوفي سنة ٦٧٢ ق م
 ثم خلفه ملك حربي يدعى (تالوس هو ستيليوس)
 الذي احتل مدينة (البا) اذ أشار بانتخاب ثلاثة اخوة
 عن كل من المدينتين وأيهما كان ظافراً يستولى
 على مدينة الآخر فأوقع (هوراس) أحد أبطال مدينة
 رومية الثلاثة فيهم الفشل ولذا التهم المدينة غنيمة باردة
 ولما توفي هذا الملك خلفه (انكوس مارتیوس) الذي لم يأل

جنداً في زيادة قوة رومية وجعلها صاحبة السطوة على جميع
لقبائل اللاتينية وان كانت أصغرهم مساحة ونفراً فلم يرض
على تأسيسها ١٥٠ عاماً حتى كانت حدودها فوق سبعة قلال
يبلغ طول أسوارها خمسة أميال واطلما دعت (مدينة السبعة
قلال)

ملوك مدينة رومية

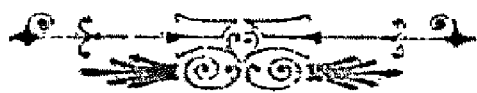
بعد ان توفي الملك (انكوس ماريوس) خلفه الملك
(تاركاز) أحد أولاد أعيان (الاتروسكس) وفي مدته حارب
القبائل اللاتينية والاتروسكية وكان النصر حليفه في كل
ميادين الوغى والظفر أليفه وانشأ جداول صغيرة لجلب المياه
وأخرى لصرف الآسنة منها وهو أول من شيد (هيكل
الكابيتول) ومات قبيل سنة ٥٧٨ ق م . فجاء بعده الملك
(سرفيوس طالموس) الذي كان مكرهاً عند رعيته لأنه
قسمها الى طوائف بحسب الغنى والثروة فاستشاحت غيظا
أغلب الأشر العظيمة وسعت في هلاكه والتخلص من
حكمه . وقبل ان تذكر تقسيمات هذا الملك يجدر بنا ان نذكر
حالة حكومة رومية قبيل مشروعه فلقد كانت مبدئياً مدينة

صغيرة ذات حكومة بسيطة وكانت الأمة تحتوي على عدد عظيم من الأسر كان يحكم كلا منها رئيسها الذي هو أرشد رجل فيها وبديهي ان ذلك الرئيس هو الأب وكانت عادة الرومان ان يجتمع رؤساء الأسر سويا وذلك في المسائل الهامة المتعلقة بالمصلحة العامة وكانوا يدعون بالآباء (Paires) وأطلق على ندوة اجتماعهم مجلس الشيوخ (سناتو) وكان الملك في ذلك الوقت هو الرئيس العام لهذا المجلس فضلا عن كونه الأب الأكبر لساثر الأمة التي كان ينظر اليها كأُسرة واحدة كبيرة.

غير ان مدينة رومية لما نمت ووفد عليها كثير من المهاجرين الوافدين من كل فج عميق لم يجدوا لهم صفة تجعلهم ضمن أفراد هذه الأسر القديمة ولذا لم يكن لهم نصيب في ادارة شؤون حكومة رومية لعدم وجود رئيس يمثلهم في (مجلس الشيوخ) وعلى ذلك فكانت رؤساء الأسر الرومية تعتبر هؤلاء الاقوام الخارجين عن نظام أسرهم متشردين وهم الرعاع أهل الغوغاء وبهذه الصفة كانت مدينة رومية حكومة (ارستوقراطية) في أيدي الاشراف أهل الثروة

وكانت العامة أو السواد الأعظم محرومة من الاشتراك في أعمال الحكومة فضلاً عن معاملتها بالقسوة المتناهية من آباء الأشراف الأخرى وهم فئة الأشراف (Patricians)

فاشتعلت نيران العداوة والبغضاء بين الفريقين وكثر الحروب والضرب بينهما مما أعاق رومية عن الرقي والتقدم في الفتح والاستعمار لأن الأشراف كما قدمنا كانت نازعة السلطة من العامة ولم تجعل القانون يعترف بشخصيتهم ولا بحقوقهم المدنية والسياسية وحرّم قانون الأحوال الشخصية زواج الشريفات بالعوام كما أباح استعباد الآخرين إذا لم يدفعوا ديونهم للأشراف وكان العبد يعتبر في مستوى منقولات الرجل . لا ارادة له يقتله انى شاء ولذا اندثرت حروب هائلة بين الطرفين حتى سنة ٣٠٠ ق م (وسند كر ذلك كله في موضعه) وقبل ذلك حاول ثلاثة ملوك من الذين تقلدوا الحكم بعد الملك (انكوس ماسيوس) أن يغيروا شيئاً من هذا النظام الجائر فلم يفلحوا لأن الأشراف قامت حجرة عثرة امامهم .



اصلاحات سر فيوس طالايوس

اهتم الملك (تاركوين بريسكاس) ان يدخل بعض اصلاحات بسيطة على هذا النظام الحاضر لحكومة رومية فلم يوفق غير ان الملك (سرفيوس طالايوس) الذي تبع هذا الملك نفذ مشروعه بجأش وعزم لا ترعزعه الجبال وذلك أنه حابى طائفة العوام إذ أنشأ قسماً أو فرقة جديدة من العامة وقسمها بحسب الغنى والثروة ثم أمر ان كل رجل ملزم بحمل أسلحة بقدر ما تسمح به ثروته وعقاراته بمعنى ان الذين يتساوون في الاثراء والغناء ينضمون الى بعضهم بعضاً في فرق جعل عدد كل واحدة منها مائة رجل ولذا استاء الاشراف كثيراً لأن اصلاحات هذا الملك أوجبت اضافة مائة رجل من العامة الى مجلس الشيوخ مع ان النظام العسكري القديم كان يحتم على كل قبيلة أن تقدم الف جندي من المشاة ومائة من السواري

الا ان (تاركوين بريسكاس) ضاعف هذا العدد . أما اصلاحات (سرفيوس) اقتضت تقسيم المللك الى خمس فرق بحسب الثروة وقسمت كل فرقة الى جمعيات مئنية أي

ذات المائة شخص فكانت الفرقة الأولى تحوي هؤلاء
الذين يستطيعون شراء أعظم الأسلحة وتليها الفرق الأخرى
بحسب نسبة قدرتها على شراء المعدات الحربية ولذا جاءت
الفرقتان الأخريان من فقراء الناس الذين لا يستطيعون
سوى شراء الأسلحة الثمينة التي لا تحمي الذمار ولا تدود
عن حياض الأعراض ثم إن الملك (سرقيس) قسم عموم
الجيش الروماني إلى قسمين أحدهما نظامي والآخر احتياطي
فكان الأول يحتوي على الشبان الأشداء المدربين على
الحرب والكفاح والثاني يحتوي على الشيوخ الذين لا قبل
لهم بتسور المرتفعات وحصد أرواح الأعداء وكان كل قسم
أو (فيلق) مكونا من ٨٥ فرقة كل فرقة أو فصيلة تحتوي
على مائة جندي وكانت عموم فرق السواري للجيش ثمانين
عشرة فرقة .

وقد ذكرنا في موضعه أن هذا النظام أوجب غضب
الأشراف وسعيهم في هلاك الملك (سرقيس) حتى أن
زوج ابنته المدعو (تركوين سوپرباس) قتله ونودي به مابكا
سنة ٥٣٤ ق . م فجعل الظلم شعاره والمعاصي دثاره وعذب

ونفى رجال دولته المشهود لهم بالحزم والعزم . ومما زاد
الأمة غضباً ونفوراً من الأسر الملوكية أن ولده المدعو
(سكتوس) زنى بامرأة اشتهرت بالعفاف بينما كان يحاصر
مدينة (أرديا) فلم يكن من هذه القاتلة إلا أن قتلت نفسها
تخلصاً مما لحقها من العار في حكومة لا تنصر المروعة وهي
تبكي فقامت الأمة عن بكره أبيها بتحريض الزعيم (بروطوس)
وخلعت هذا الملك الطاغية وطهرت نفسها من أرجاسه ستة
٥١٠ ق . م وبخلعه انتهت الحكومة المالكية وحلت محلها
الحكومة الجمهورية وكان على رأسها حاكماً لكل منهما
القبط (قنصل) تنتهي مدة حكمهما باتقضاء السنة وأول قنصلين حكما
كان (بروطوس) الزعيم المحرض على خلع الملك (تركوين)
و (ترکان كوالاطان) زوج المرأة القتيلة (لوكریش) التي
زنى بها (سكتوس) بن الملك المخلوع غير أن حكومة القناصل
كانت عديمة الجدوى كثيرة المظالم فلم تكن الجمهورية أسعد
حالا من الملوكية ولذا انقسمت رومية الى حزبين (وسيرد
عليك ذلك مفصلاً في موضعه) وكانت طريقة تعيين الملوك
أن ينصب مجلس الشيوخ نائب ملك بضعة أيام ريثما يعين

ثمك الجديد بناء على مداولة نائب الملك مع المجلس المذكور
ثم يقدم الشخص المرشح للملك الى جمعية القبائل ويطلق عليها
(Comitia Curiata)

الايطاليون القدماء

لا يخفى أن مدينة رومية هي عاصمة ايطاليا التي هي
أحدى شبه الجزائر الثلاثة الواقعة في جنوب القارة الاوربية
المحاطة بالبحر الابيض المتوسط وتحد شمالا في عصرنا هذا
بجبال (الألب) غير انها في سنة ٧٥٣ عند تأسيس مدينة
رومية كانت الأراضي الواقعة ما بين جبال (الألب) وبين
جبل (الابنين) والتي تسمى الآن جغرافيا بسهل (لومباردي)
موطن أهل الغالة فأصبحت تنسب اليهم وكانت أيضا على
الساحل الغربي ما بين جبل (الابنين) وبين نهر (التيبر)
قبائل (الاوتروسكاس) الذين كانوا أعظم أهل ايطاليا في ذلك
العصر قوة وعددا ونفوذاً وكان موطن الايطاليين جنوب الغالة
وبلاد اتروريا (١) وكان اللاتين أشهر القبائل الإيطالية

(١) أي نسبة الى الاتراسكاس :

ومسكنهم في السهل الواقع جنوب نهر التيبر وكانوا يشتغلون
بالزراعة وذلك لخصوبة أرضهم وحسن تربتها وكانت تلك
القبائل اللاتينية تسكن في القرى وتدير كل منها شؤونها
بنفسها وهي بمعزل عن جارتها إلا أن هذه القرى طالما اتحدت
سويًا في سبيل المصلحة العامة والدفاع ضد المغيرين عليها من
العناصر الإيطالية الأخرى . واقد كان اليونانيون منتشرين
حول سواحل جزيرة صقلية وسائر قدم إيطاليا المقابل لهذه
الجزيرة . وأغلب هذه الأراضي اليونانية كانت مدناً عظيمة
يسكنها أهل الثروة والنعمة الذين اتخذوا الترف عاده والبذخ
غريزة . ولا يخفى أن سائر القبائل المختلفة التي تسكن إيطاليا
كانت مختلفة العوائد والأخلاق ومما ذاع صيته في الحرب
والبسالة من هؤلاء الأقوام سكان القرى الواقعة قرب جبال
(الابنين) فكان الآطين يفرعون منهم ويحسبون لهم حساباً
كبيراً فكانت عيونهم لا تنام لحظة عن مراقبتهم .

أما الأتراسكس فكانوا يحترفون التجارة ولهم سفن
عديدة تشط عباب البحر والخلاصة أنهم كانوا هم والقرطاجينيون
سادة البحر في العصور القديمة ولذا كان اليونان سكان

سواحل صقلية والأراضي الإيطالية المطلة على بونغاز (مسينا)
 يناوئون أهل أترووريا وقرطاجنة ودخلوا معها في حرب عوان
 حتى أن اليونان تمكنوا في سنة ٤٧٤ ق . م . من قهر
 الأتراسكس في عرض البحر ولذا استهزأ الغاليون ببلاد أترووريا
 فقهروها من الحد الشمالي فضعفت قوتها فطمع فيها أيضاً
 الرومان الذين شرعوا يحاصرون في عام ٤٠٥ مدينة (وى
 Veii) الأتروورية وبعد عشر سنين من حصارها ظفروا بها
 ومن ثم بلغت حدود رومية تلال — Siminian Hills
 السمينيان - وسيأتي في موضعه ما حل بأهل رومية من
 العذاب والخراب من الغاليين نظير مساعدتها أترووريا ضدهم
 مما أنبئ عليه حرق مدينة رومية نفسها واندثار معالمها الأثرية
 وضياع ما تدون في صحائف التاريخ عن حوادثها القديمة
 ذلك لأن القسس اعتادت أن تأخذ مذكرات عن الحوادث
 والوقائع التاريخية السنوية وتدعيها في المعابد التي أحرقها
 الغاليون فأصبح تاريخ هذه الفترة مجهولاً وكل ما سبقها من
 الحوادث أو قيل عنها إنما هو رجم بالغيب وما رحل أهل
 الغالة عن رومية سالبين ناهبين حتى رجع الرومانيون الذين

كانوا قد تركوا مدينتهم خاوية على عروشها الامن عجوز
 مقعد أو ضريح وعزموا على بناء مدينتهم بتحريض أحد
 العسكرية مرقص مانليوس -- Marcus Manlius فكان
 بناء رومية حملاً ثقيلاً على العامة الذين هم السواد الاعظم
 والفقراء فأصبحوا مدينين مغلولين الى أعناقهم تحكيم فيهم
 ساداتهم الدائنون . وقد ذكرنا في الجزء الاول من (تحفة
 الأنام في التاريخ العام) ان الشرائع الرومانية كانت تبيح
 للأشراف أصحاب الديون قتل مدينهم واخذهم عبيداً
 يستخدمونهم في مزارعهم سخرة وقد يبتزون أعضاءهم
 ويشوهون اجسامهم كأنهم سلع أو أنعام لا روح لها وكان
 يعتبر القانون الروماني (ان ما عدا الاشراف مثل المهاجرين
 وعامة الناس) لا شخصية لهم فلا يعترف لهم بحقوق
 الملكية ولا يساوي بينهم وبين الاشراف وكان القانون
 الروماني أيضاً يجعل ما دون العامة غرباء في بلادهم فلا يحميهم
 من الجور والتعدي وذلك ما دعا العامة الى الشكايف والتعاصد
 والنظر الى مركزهم وطلب مساواتهم بالاشراف ووضع قوانين
 تحمي ذمارهم وتنقذهم من مخالب الفقر وبراثن الجشع .

﴿ الأجناس الإيطالية القديمة ﴾

يقال ان أول من سكن إيطاليا أمة الپيلاج أو اليونان ثم الاتروسكاس ثم اللاتين وأهم الأجناس الإيطالية القديمة هي البنادقة والپيلاج والطلين وكانت أشهر القبائل اللاطينية قبيلة السابين المنقسمة وحدها الى ثلاث طوائف وهي السامنيت ثم قبائل (العمبريان) -- والاوزكان والاتروورياس ولقد دلت المباحث التاريخية ان أهالي الاتروسكاس كانوا ذوي حضارة عريقة وحرف وصنائع وجدت آثارها في العاديات القديمة والحلى والآثات ولذا ورث الرومان وسائر القبائل اللاطينية فضائلهم واتخذوا مدنيّتهم نبراسا وبعيننا لهم على التقدم الى معارج الرقي والفلاح وكثيراً ما جاء ان الرومان عبارة عن خليط من جنسيات مختلفة وعناجر متنوعة كان الجنس السائد فيها اللاتين والسابين والاتروسكان بيد ان علماء الأجناس البشرية وكثرة البحث والتحري دلت دلالة واضحة على ان الرومان من الجنس اللاتيني يدخل فيهم نفر قليل لا يعتد به من أهل السابين والاتروسكان وذلك

بالنسبة لكثرة الأصل اللاتيني السائد على جميع العناصر الأخرى .

تأسيس الجمهورية القديمة

(وقيام (١) حكومة القناصل الأشراف)

انقرضت الحكومة الملكية سنة ٥٠٩ قبل الميلاد بعد أن حكمت رومية مدة ٢٤٤ سنة ولكننا لسنا بواثقين من تاريخ تولية وعزل أو وفاة هؤلاء الملوك وذلك لعدم وجود آثار للكتاب الرومانيين في تلك الفترة ولذا لا يسلم الفكر بصحة ما روى عن حوادثها سيما أن الناقلين عنها روى واقائع مضى على حدوثها أربعة قرون دون أن يسندوا ما يدل على صحتها من الأدلة التاريخية . . . !

يبداه لما عزم الرومان على عدم حكمهم بالملوك رأوا

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على كتاب (مانديل

كرايتون) ومقدمة القانون الروماني للاستاذ ولتون

مبدئياً ان تعطى السلطة العليا التي كانت منوطة لنفس الملك
 الى فرد واحد مدة سنة يطلق عليه (ديكتاتور) ومعناه
 الحاكم بأمره الذي كانت تنتخبه Conatia Centuriata غير
 أنهم تيقنوا ان منح هذه السلطة لشخص فذ ربما استبد بها
 ولذا عينوا رجلين سنوياً كان يدعي كل منهما مبدئياً (پريتور)
 وفي حالة حدوث أزمة في الحكومة اعتيد تعيين — ديكتاتور —
 مدة ستة أشهر يحكم فيها كيفما شاءت اهواؤه بلا رقيب . اما
 القضاة العاديون فكانت (القناصل) الذين كانوا يرأسون
 مجلس الشيوخ ويقودون الجيش الى ميادين الحرب . ولقد
 خول قانون (قاليريا) سنة ٥٠٩ ق . م للعوام حق استئناف
 أحكام الاعدام التي يصدرها القناصل الى الجمعية المثنية .
 وبديهي ان في تعيين القضاة مدة سنة أعطى مجلس الشيوخ
 قوة عظيمة عما كانت له في عصر الملوك وازداد أيضاً نفوذ
 (الجمعية الأهلية) التي كان اعضاؤها يجتمعون سوياء وهم أهل
 الفرق المثنية التي سبق الكلام عليها في اصلاحات (سرفيوس)
 بمعنى ان القوانين كانت لا تنفذ تقريباً الا اذا حازت الاغلبية
 المطلقة في جمعيتهم ولا يخفى ان روميه كانت ضعيفة جداً في

عصر الحكومة الجمهورية ولذا هاجمها كثير من أهل المدن الأخرى ولا سيما (التراسكاس) الذين حاصروها وكادوا يفتحونها لولا أن طردوا عنوة في النهاية وكانت حالة العوام الفقير المدقع وإلّا ريب أن العدد السائد منهم كان من طائفة المزارعين الذين قضى عليهم بتلف أرضهم وهلاك زرعهم وموت مواشيهم من جراء هذه الحروب المتوالية فضلاً عن اشتغالهم في العسكرية بغير مرتب وإجبارهم على دفع ضرائب عند وقوع الحكومة في أزمة مالية وبهذه الطريقة العسوفة صارت العامة مغולה إلى أعناقها في ديون فاحشة لأصحاب الثروة الذين هم بالطبع أولئك السادة الأشراف الذين ثملوا فرحاً ونشواناً لأنهم بما لهم من الديون على العوام أمكنهم إذلالهم واستعبادهم بحق ذلك القانون الجائر الذي يحبس سجن وتعذيب واحياناً قتل المدين فكان الشريف اللبائن يأخذ مدينه فيشغله سخرة وله الحق ايضاً في حبسه او يبعه رقيقاً !!

ولتأخذ الإنسان الدهشة والإستغراب عندما يرى تلك لسجون التي كان ينشئونها الأشراف على مقربة من منازلهم لسجن مدينيهم من العامة التي كتب عليها الشقاء في أرض

الله وتحت سماء الله بينما أمهاتهم ولدتهم احراراً يرزقون .
وما تصرف ست عشرة سنة بعد انقراض الحكومة الملكية
حتى ضج العوام وعيل صبرهم ولذا رحلوا جميعهم سنة ٤٩٢ ق م
وذلك انهم عصوا ان يرجعوا الى مدينة رومية لما امروا بمحاربة
اهل (دولساي) وأصرروا على بناء مدينة جديدة واستقروا على
تل يبعد عنها بأميال قليلة وهددوا الأشراف بانهم سيشرعون
قريباً في بناء مدينة خاصة بهم ويتركونهم يستعمرون رومية
بأنفسهم فبال هذا العزم الرومان الذين أخذوا على التمتع
وعليم وجود من يخدمهم في حقولهم ومساكنهم ولذا أرسلوا
(منينيوس أغريبا) أحد الرومان الشهيرين بوسع المدارك
ليقنع هؤلاء القوم بالرجوع والعدول عن أفكارهم وذكر لهم
حكاية خرافية وهي : يحكى ان أعضاء الجسم تأمرت على البطن
واتفقت على عمل جميع أشغالها بدون احتياج اليها بينما كانت
البطن مستريحة هادئة في منتصف الجسم لا تعمل شيئاً مع
انها تحضر اليها كل شيء ولذا اعتصبت سائر الأعضاء عن
الشغل وعزمت على احداث مجاعة عامة للبطن وبينما كانت
البطن في منتهى الجوع بدأ جميع الجسم يضعف ووجدت

الأعضاء جميعها أنها بدأت تضعف نفسها !!
وكذلك أتم ايها العوام فانكم ساعدون في مجاعة السادة
الأشراف فليسوف تخربون على أنفسكم وترمون بأيديكم الى
الى التهلكة ويحل بكم الخسران العظيم . !!
فأثر هذا القول في العوام أذ وجدوا عليه مسحة من
الحقيقة وعزموا على الرجوع الى رومية على شرط أن يعين لهم
ضباط من طائفتهم لحاية مصالحهم . وكانوا يدعون (ترييون)
فكان عددهم مبدئياً اثنين ثم ازداد الى خمسة ثم الى عشرة .
وجعلت وظيفتهم الدفاع عن العوام امام القضاة الرومانيين
وتبرئة ساحتهم وجعل منازلهم ملجأ عاماً لكل مستغيث ايلاً
ونهاراً مع اعتبار هؤلاء الزعماء قديسين فوق القانون .
والحقيقة أن رومية أصبحت حكومتين بهذه الطريقة
وهما حكومة القناصل الأشراف وحكومة الترييون حتى
انقد عادت كل منهما الأخرى واتسع الخلاف بينهما

(النزاع بين الأشراف والعوام)

لا يخفى أن الشقاق أهل مدينة رومية الى حزبين متعادين

أو بالخرى حكومتين تحت سماء مدينة واحدة أدى الى ضعف
الرومان فلم يخطوا خطوات في الفتح والاستعمار ولقد استمر
العداء والفوضى قرنين كاملين من سنة ٥٠٠ الى ٣٠٠ ق م
كانت في خلالها العوام والأشراف في نزاع مستمر وان
خاطر فيه الدماء لأن هذا النزاع لم يكن بين فاتحين وبين أمة
مغتصبة بلادها .

حصل هذا اللجاج واعداء الرومان الخارجون عن مدينة
رومية يناوشونهم فكانت الطائفتان تتحdan سويا على قتال
الأعداء وتتناسيان الاحقاد والبغضاء في سبيل انقاذ وطنهما
العزير من كيد المغيرين . ويردانهم على أعقابهم مقهورين
مدحورين مما جعل الشجاعة والشدة صفة اكتسبها
الرومان من الحروب الخارجية وعلمت كل انسان واجبه
للمقدس نحواته وبلاده التي تأويه وتجمع رفات أجداده
وأرشدده الى واجبه في الهيئة الاجتماعية ولقد احترم العوام
الأشراف وتيقنوا الانجاح لهم الا بالمجاهدة الحقيقية
بالطرق المشروعة وهي الكد والعمل حتى يتنازوا
عنهم فينالوا مرغوبهم وأسمى مطالبهم ليبرهنوا أنهم

حقيقون بما يطلبون من الرغائب الأصلحية فكانت الحروب الخارجية درساً نافعاً لتأليم الطائفتين الطاعة والاعتماد على النفس والثبات والاستمرار في سائر أعمالهما الحيوية وتضحية المنفعة الشخصية في سبيل المنفعة العامة لأن كلا تيقن أنه مدني له وعليه واجبات مقدسة نحو بلاده وجزره أن الحالة الحاضرة لحكومته لا بد من تغييرها وبأن السادة الأشراف سيتنزلون عن عظمتهم تدريجاً إذ الطفرة محالة في نيل حقوقه السياسية والمدنية المضمومة وعلم العامة كيف تؤكل الكتف لأنهم ما حاربوا الا واتفقوا مع الأشراف على إعطائهم امتيازاً أو اجابتهم الى ما يمكن منحه من الحقوق وبدأ أصبح الرومان علماء في الفتح والاستعمار وكيفية الحيل الحربية والدهاء مما جعلهم يحكم الدنيا القابضين على حكوماتها المختلفة النازعين سلطة ملوكها الضاربين بكل أرض .

ويجدر بنا أن نقسم ما دار من النزاع بين الطرفين الى قسمين ابتداءً أحدهما من سنة ٤٩٤ الى ٤٥٠ والآخر من سنة ٤٥٠ الى ٣٠٠ ق . م اذ سعي العامة في الدور الاول في تحسين حالتهم المالية وانتشال أنفسهم من الفقر والتعاسة وفي الدور

الثاني قاموا ينادون بالمدادواة بينهم وبين الأشراف .

﴿ تأثير قانون اجريريان على العامة (١) ﴾

كان التشريع الزراعي أو (قانون اجريريان) الذي وضعه (سيريوس كلساس) سنة ٤٨٦ ق . م أول من خفف تعاسة العامة المنكوذة الحظ وكان (سيريوس كلساس) هذا من الأشراف ولما انتخب (قنصلا) بذل جهده في توثيق عرا الالفة والاتحاد بين الأمم اللأطيذة المحالفة لرومية ثم انه تأسف على الحالة المحزنة التي كانت عليها العامة من الفقر المدقع واليعوز الشديد الى تحسين حالتهم المالية وفك أعناقهم من الديون الطائلة ولذا اقترح ان تقسم الاراضي العمومية التي لا مالك لها الى قطع صغيرة تفرق على صغار العامة الفقراء وهي تلك الأراضي التي اكتسبتها الأمة بحق الفتح والتي قسمت بعدد ما بين الأشراف ورؤساء المعابد الدينية وما بقي منها

(١) تراجع هذه القوانين في كتاب (القانون الروماني)

تأليف اللورد (ما كنزي) وكتاب القانون الروماني للعلامة

هنتر .

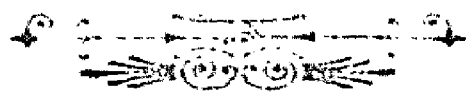
أصبح اسم ملك الحكومة التي هي في الحقيقة طائفة الأشراف ولذا أطلق السادة مواسيهم في تلك الأراضى بحجة الملكية فقال (سيريوس كاساس) أن هذه الأراضى هي ملك الحكومة ويجب حتما أن يدفع الأشراف أجارا عنها نظير استعمالها مرعى لدوابهم وما بقي منها يقسم على الفقراء من العامة المحرومة من نعم اخوانهم في البشرية فكان قانون اجريريان حبرا على ورق وسعى الاشراف في حثف (كاساس) في الممالك وادعوا أنه يريد اجتذاب قلوب العامة طمعاً في تنصيب نفسه ملكا على رومية ولذا ضرب عنقه سنة ٤٨٥ ق . م ومهما حاول الاشراف من اندثار معالم هذا القانون العادل وعملوا على قبره فان العامة تشبثت به وعضت عليه بالنواجذ وبعد قتل (كاساس) زاد فقر العامة وارتفع شأن حكاهم الملقبين (تريون) اذا اعتبروهم قضاتهم واعتادوا اخيرون ان يدعوهم الى مجتمع حافل للمناقشة في الشؤون الهامة الخاصة بوحدهم .

فكانت العامة تبدى اصواتها بحسب عدد قبائلها ولا يخفى أن آراءها واقتراحاتها كانت عديمة الأهمية لأن الحكومة

اعتبرتها مجتمعاً عاماً لا صفة له في اجبار الحكم على تنفيذ
الأصلاحت الضرورية فسمي الاشراف في تعطيل هذه
الاجتماعات المشوشة على سكينتهم بيد انهم لم يفلحوا فكانت
رومية حكومتين فاتحد القناصل بناء على نصيحة مجلس الشيوخ
وأصدروا القوانين اللازمة ازاء هذه الحوادث بعد عرضها

على جمعية الفرق الميثنية Assembly of The Centuries

وكان (الترابنة) يتناقشون مع مستنخبهم بواسطة (جمعية
القبائل) وان لم يستطيعوا عمل القوانين غير انهم كانوا أقوياء
محترمين وذلك لان القناصل اذا أصدروا قانوناً لا يوافق العوام
استطاع التريون حماية أي انسان حاق به الظلم من جراء
ذلك القانون وبهذه الطريقة الحكيمة يقبر القانون وهو في
مهده . وسيأتي في موضعه ان قانون (بابلييا) اعترف رسمياً
باجتماعات هذه الجمعية التي أصبح أعضاؤها ينتخبون التريون



حكم الديسمفير

أصبح القانون الروماني مزيجاً البنيان كثير التبدل والتحويل بسبب تنازع القناصل والتراتبة ولذا قامت العامة في سنة ٤٦١ ق م تطلب الغاء وظائف كل من الترييون والقناصل وأن تنتخب عشرة قضاة من الاشراف والعوام بحيث يكون عددهم متساوياً كي يتمكن هؤلاء القضاة الجدد من وضع القوانين وتدوينها في الساحة العمومية الموضوعة للاسواق التي يجتمع فيها الناس عادة ليحفظوها كيلا يظلم منهم أحد فظل اقتراح العامة سهلاً لمدة عشر سنوات والاشراف يقضون بينهم

وما بدأت طلائع سنة ٤٥١ ق م . حتى عين عشرة قضاة جدد ومعنى (ديسمفير) باللاتينية العشرة رجال قدونوا القانون في صالح العامة ما عدا أحدهم المدعو (ابيوس كلويوس) أحد الشرفاء فانه كان معارضاً . وما مضى عام حتى عرض هؤلاء القضاة عشرة الواح دونت فيها القوانين التي احترمها الأهالي غير انها كانت ناقصة ولذا عينوا عشرة

قضاة آخرين لمدة سنة أخرى فوضعوا لو حين آخرين ضمالي
العشرة الواح الأول فأصبحت هذه الألواح الاثناعشر أساساً
للقانون الروماني . بيد أنه لما تمادى (كلويوس) في حماقته
وجوره في الاحكام قامت العامة فطردت العشرة قضاة
واعادت انتخاب القناصل والبرابنة وبذلك أصبح العوام
متمتعين بالقانون بعد قضاء العشرة رجال وقد زال عنهم
الخير نوعاً ما .

الاحصائيون

منذ سنة ٤٥٠ حتى سنة ٣٠٠ ق . م والعوام في جدال
وشقاء اذ كانوا يسمعون صباح مساء في تعيين القضاة منهم
أسوة بالاشراف ولكن لا حياة لمن تنادي .

ولقد ظل العوام محرومين قرناً ونصف قرن من
انتخاب احدهم حاكماً او قاضياً حتى هلت سنة ٣٠٠ ق . م وان
كان القانون المدعو (Lex Canuleia) قد خفف بعض مصائب
العامة اذ أباح لها التزاوج بالشريفات سنة ٤٤٥ بعد ان كان
هذا مخطوراً عليها .

وكانت مطالب العامة الأولية ان يعين منها القناصل فلم يكن من الاشراف الا ان صموا آذانهم ولما لم يقدروا على صد تيار الناس عزموا على ان يزعوا السلطة من القناصل ويخافوا وظائف أخرى يحتكرونها ولتنتقل اليها تلك السلطة العليا التي كانت ممنوحة للقناصل وعلى ذلك عينوا في سنة ٤٣٤ : احصائيين تنتهي مدتهم كل خمس سنوات فكانت وظائفهم احصاء الناس واصدار قوائم يرتبون فيها الأهالي بحسب درجاتهم وما أدراك ما الدرجات وخول هؤلاء الاحصائيين قوة البحث في اخلاق الناس وانتقادها وانزال درجاتهم اذا شاءت اهواؤهم السافهة غير ان العوام أصروا على تنفيذ اقتراحات جمعية قبائلهم وجعلها قانوناً عاماً لسائر سكان رومية فأبى الاشراف الخضوع لقوانين هذه الجمعية ولذا احتدمت المشاجرات بين الطرفين

(قانونا — ليسينيوس وسكتيوس)

في سنة ٣٧٦ أصر كل من الترييون (كايوس ليسينيوس استولو) و (لوسيوس سكتيوس) على تعيين قناصل من العامة

واصدرا في احوال ثلاثة قوازين حتما نفاذه فمعو لها عقب اعلانها
وكانت كلها في صالح فقراء وأغنياء العامة على السواء وان كانت
الطبقة الغنية منهم لا اعتبار لها مطلقاً عند بيوتات الاشراف
العريقة وأهم ما جاء في تلك القوازين :-

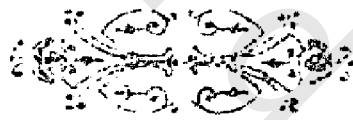
أولاً — يلزم ان يساعد الفقراء على دفع ديونهم
ثانياً — ان يمنحوا قطعاً من أراضي الحكومة وان
يأمر الاشراف بأخذ قطع كافية فقط لمرعى بهائمهم
ثالثاً — ان يكون احد القنصلين دائماً من العامة
رابعاً — يلزم ان يكون نصف العشرة قس الذين
يديرون الشؤون الدينية من العوام
خامساً — محظور في المستقبل على الاهالي ان يمتلك
احدهم أكثر من ١٠٠ فدان من أراضي الحكومة والا
يترك في المراعي العامة أكثر من ستمائة من الدواب والمواشي
ويجب ان يدفع أصحاب الاراضي أجور الخدمة الذين
يستخدمونهم في حراثة وزراعة حقولهم

سادساً — ان يخصم ما دفعه العوام من فوائد ديونهم
من رؤوس الاموال وان يدفع ما تبقى على ثلاث سنوات

الى دائرتهم الاشراف

ودعيت هذا القوانين بقوانين (ليسينيون) نسبة لمقرحها
 فخارب الاشراف العوام عشر سنين من جراء هذه القوانين
 الا أن العامة كانت تنتخب (ليسينيون وسكتيوس) سنة بعد
 أخرى (تريون) فكانا يتجاوزان حدودهما بما لحما من سلطة
 وظيفتهما وبعدها هما ونفوذهما عرفا تنفيذ احكام القناصل مدة خمس
 سنوات لانهما سارا يحميان كل من تكب اي جريمة من حكم
 هؤلاء القناصل او القضاة ولذا أصبحت وظائفهم عديدة
 الجدوى فاضطرت الاشراف في سنة ٣٦٦ ان تعين لأول
 مرة قنصلا من العوام الذين احتفظوا من تلك السنة على
 تعيين قنصلهم من انفسهم ثم نازعوا الاشراف في جعل
 وظائف الحكومة متساوية بينهم وما وافى عام ٣٠٠ ق . م
 حتى أصبح العوام والاشراف متساوين في الحقوق المدنية
 والسياسية تحت سماء مدينة رومية فصارت العامة اعظم نفوذاً
 واكبر سلطة لان الاشراف أصبحت خالية من قضاة عنها وذلك
 بعكس العوام فانهم لم يزالوا بقضاةم الذين يدعون (تريون)
 فضلاً عن تعيين أحدهم قنصلا واحيانا تكون سائر القناصل

منهم إذا حزوا أغلبية الأصوات وجعلت الوظائف الدينية مباحة
 للعموم أيضا وكانوا يدعون — Aediles — وفي سنة ٢٨٧
 صدر قانون — هورتنسيا ومتقضاء ان تكون موافقة مجلس
 الشيوخ ونجبة قبل ان يقرها مجلس العامة وبعد هذه
 السنة زالت الاحقاد والاضغان واصبح الرومان بنعمة العدل
 والمساواة والحرية اخواناً في السراء والضراء اشداء على
 الاعداء رحماء فيما بينهم والله عزيز حكيم



فتح ايطاليا

أبرم (سپيريوس كاسيوس) أحد قناصل رومية معاهدة سنة ٤٩٤ ق . م بين بلاده وبين القبائل اللاطينية ثم انضمت اليها قبيلة (الهيرنيكان) ولقد اتحدت هذه القوى الثلاث على الدفاع عن صوالحها يدًا بيد إذا هاجمها عدو لدود قتال للارواح معتد ائيم ولا ريب أن رومية كانت في هذه الاثناء ضعيفة لا حول لها ولا قوة حتى انها لم تفق بقية القبائل المخالفة لها في شيء وظلت على هذا الحال قرنا الا عشر سنين بيد انها كانت تتقوى تدريجيا وتجمع شمل عقدها وما وافي عام ٤٠٥ ق . م حتى دخلت في معمران الحرب مع قبيلتي (القواسيان والايكويان) اللتين كانتا مجلورتين لتخومها اذ كانت الاولى واقعة جنوب القبائل اللاطينية والثانية في الشمال الشرقي لرومية وجنوب القبائل الساينية ولم يأت لنا التاريخ بشيء يستحق الذكر عن وقائع تينك الحربين بيد ان رومية ظفرت فيهما ظفرا مبينا وان أوجبا اضطرابها وقد ذكرنا في غير هذا

المسكان أن يونان صقلية وسواحل ايطاليا المطلّة على خليج
سينا حاربوا كلا من القرطاجينيين والاتراسكان حتى أن
الأخيرين هزموا شر هزيمة على سطح البحر سنة ٤٧٤ ق.م
ولم يكتف طالعهم الاسود بما حل بهم من الانكسار بل
تسربت الجيوش الغالية الى ديارهم من جهة الشمال مما ادى
الى ضعف الاتراسكان الذين كان لهم الحظ الاوفر في التجارة
البحرية وكانت سفهم تشط عباب البحر الايض المتوسط
شي والجواري القرطاجينية .

﴿ حروب رومية القديمة بايطاليا ﴾

١ - حرب الاتراسكان - انتهز الرومان انهزام
الجيوش الاتروورية برا وبحرا بين فرسان الغول والبيلاج
(اليونان) فاستهزؤا بها وأرسلوا جيشاً لفتحها من جهة
الجنوب حتى انه في سنة ٤٠٥ زحف جيشهم الى مدينة
(قاي) (١) لمحاصرتها ولقد استمر يعالج فتحها عشر سنين
على غير طائل غير ان القائد الروماني العظيم - مارسوس

(١) وتدعى (وئي) أيضا

كاميليوس - استجاب في الحصار أذعن عليه التباطؤ في نيل
الفخار فحمل على الاتروسكان حملة عنيفة زلزلت جيوشهم
وأوقعت الفشل في صفوفهم وكان من الظافرين ثم أن
(كاميليوس) استأنف المسير الى بلاد اتروريا فاتحاً غزياً حتى
بلغت حدود رومية جبال (سيمينيان)

ومن العجب انه بينما كان الرومان يغزون بلاد
الاتراسكان من الجنوب كان الغول يفتحونها من الشمال فلما
رأى الروم ذلك ساعدوا أهل الاتراسكان فاستاء الغول من
قحة الرومان وغلى الدم في رؤوسهم ولذاهاجموا الجيوش الرومية
حيث هزموها في واقعة عظيمة على نهر (آليا) سنة ٣٨٧
ق . م)

٢ - حرب الغول - لم يكتف الغول بحصد أرواح
الرومان وقتل عدد عظيم من صفوفه فرسانهم في معمة نهر (آليا)
سنة ٣٩٠ ق . م بل عاث (بريوس) قائد الجيش الغولي في
الارض فساد فكان أسرع من رسول الموت في خطف الارواح
مما ازعج الرومان وتيقنوا الا نجاة لهم ولا مفر من سحقهم
عن بكرة ابيهم ولذا تركوا رومية نفسها خالية على عروشها

ألا من عجزوا أو مقعد خسرير إذ يأسوا من حماية مدينتهم
والإنتصار على عدوهم العتيد ففروا هاربين ما خلا بعض
نفر من بؤساء الجنود الذين أغلقوا عليهم قلعة الكايتبول -
وعزموا على الاستماتة في الدفاع عنها إذا هاجمها الغول وبقي
أيضا قليل من أعضاء مجلس الشيوخ الذين تقدموا في السن
فلم يتمكنوا لحكم القضاء وقيل انهم ارتدوا إلى أهلي حبلهم وقصدوا
دار الشيوخ جلسوا على كراس مصنوعة من العاج ويبد
كل منهم عصا العاجية فلما دخل الغول المدينة سنة ٣٩٠
ذهلوا إذ لم يجدوا فيها انسيا !!

وحدث أن دخل قائد جيش الغول إلى قاعة الشيوخ
فرأى هؤلاء النواب جالسين لا يبدون حزا كما فظهم تماثيل
فدنا أحد الجنود بلطف وقبض على لحية النائب (ماركوس)
ياييريوس (الذي استشاط غيظا وعد ذلك قحة فضرب
الغولي بعصا العاجية فهجمت العسكر الغولية بعنف على هؤلاء
الشيوخ وأذاقهم كأس الحمام ثم تفرقوا في المدينة سالبين
ناهبين وهم يذكرون النيران فيها حتى حرقوها تقريبا ثم
شرع الغول في اخذ قلعة الكايتبول الا انهم لم يهتدوا

الى طريق يوصل اليها واخيرا وجدوا سبيلا فتسلقت
عصابة جدرانها بدون أن يشعر بها احد من الجنود الرومانية
وكان يوجد في تلك القلعة عدد من الاوز الذي لما ابصر الغول
يتسلقون القمة قوق فأيقظ الروماني الصنديد (ماركوس
مانليوس) الذي اشهر سيفه في رقبة أول غولي كاد ان يصل
الى القمة الصخرية التي بني عليها هذا الحصن المشمخر ثم
أشفع حسامه في رقاب من تبعه وفي تلك الاثناء استيقظ
الحرس الروماني فردّ العدو على اعقابهم خاسرا مدحورا وبذلك
سلم هذا الحصن العظيم فعاد الغول الى بلادهم آخذين ما
غنموا وسلبوا وتركوا رومية قاعا صافصفا تذرود الرياح ومما
يؤسف عليه ان الاشراف لم تبكافيء (ماركوس مانليوس)
على شهامته هذبل لما توسموا فيه الشفقة على العامة آهموه
بانه طامع في الملك وانه لم يعطف عليهم الا اجتذبا لقلوبهم
فكتموا عليه بالاعدام وقذفوه من أعلا شرافة في حصن
السكايتول الذي كان قد أفداه بروحه وظل الغول يناوشون
الرومان سنة بعد اخرى حتى سنة ٣٥٠ ومن بعدها خافوا
عظمة رومية وبطش جيوشها فلم يسمع عنهم خبر وقد أخذ

لرومان الحذر من مجاورتهم !

وما مضى عشرون عاما بعد حرب الغول حتى عادت قوة وبهجة مدينة رومية وكالت مساعيها بمخالفة أهل قرطاجنة والسامنيث وكان الاخرون معتصمين بالجبال متخذين الاودية والدحال مسكناً واطالما ناصبوا الرومان العداء قبل تحالفهم واشتبكوا معهم في ثلاثة حروب دامية سترد عليك الآن مفصلة

٣ - حرب السامنيث الاولى — لم يكتف الغول الغلاظ الا كباد بسحق الرومان والايكويان بل صوبوا قواهم نحو المدن الاغريقية الواقعة في جنوب ايطاليا وعلى الاخص في اقليم (كامپانيا) وكانت هذه المدن كما قدمنا ضعيفة جدا لم يهتم اهلها الا بالتمتع في ملاذ الشهوات والركون الى الراحة والكسل مع ثروتهم الطائلة فلم يرحل الغول عن بلادهم حتى هاجمتها قبيلة ايطالية شديدة البطش قوية الاراس تدعى (السامنيث) وقد ذكرنا ان السامنيث قبل تحالفهم مع الرومان كانوا كثيرا ما يشنون الغارات عليهم وذلك لتحصنهم فوق المرتفعات واتخاذهم جبال (الابين) مأواهم فاشتبكت

الجيش الرومانية معهم في ثلاث حروب كان سببها ان السامنيين التهموا مدينة (كايوا) التي استغاث اهلها بجمهورية رومانية وطلبوا منها المساعدة سنة ٣٤٣ ق . م وظلت هذه الحروب الثلاث مستمرة نازها منداعاً لمحبيها لم يخمد تنورها الا بعد نصف قرن وذلك لان السامنيين كانوا لا يقلون قوة وبأساً وعددا عن الرومان أنفسهم بل هم اعدائهم واكبر عقبة كؤود في سبيل تقدم رومانية وبسط سلطانها على جميع البلاد الايطالية وكان كل من الفريقين متخوفا من أخيه ساعياً صباح مساء في عقد الصلح ولما علم الرومان بغدر اللاتين الذين انتهزوا الفرصة السانحة لاعلان استقلالهم عنهم لانهم قد ساعدوا العدو ونشروا عقد التحالف الودي فاضطر الرومان الى عقد الصلح بين السامنيين ليؤدبوا هؤلاء اللاتين ثم يتفرغوا الى سحق السامنيين ويظهروا للملأ بأسهم الشديد في الحرب الثانية معوضين ما فات في الحرب الاولى التي مرت بدون نتيجة بين الطرفين .

٤ — الحرب اللاتينية — ذكرنا ان اللاتين لما رأوا خوف الرومان ازاء القبائل الغولية واحتدام وطيس الحرب

بينهم وبين السامنيين استبرزات برومية وأرسلت اليها سنة ٣٤٠ ق . م تطلب مساواتها بأهلها وان يعين منها قنصلان كما للرومان انفسهم فلم يذنت الرومان الى هذه الطلبات ولذا أشهرت الحرب اللاتينية الشعواء وقد بذل الفريقان قواهما ليظهر أيهما أحق بحكم أخيه وظلت هذه الحرب مستعرة ثلاث سنوات وكانت أكبر الوقائع بالقرب من سفح جبل (فيزوف) ولم يظهر فيها أحد الطرفين على الآخر لتعادل القوتين واخير اسمع القائد الروماني منادياً يقول ان أي الجيشين يضحى قائد حياته في سبيل مخاطرته بنفسه مدافعاً بين صفوف اعدائه يحوز جيشه حلاً وذا الظفر فما كان من ذلك القائد الروماني الباسل المدعو (بابليوس ديسيوس) الا أن خاض صفوف الاعداء حيث كان من الشهداء ونال الرومان الظفر بعد شديد العناء فاحتلوا مدنها ولم يعاملوهم الا بالرحمة غير انهم أخذوا الحذر اذ لم يسمحوا لاي مدينة لاتينية بالتجارة مع بعضها بعضاً وجعلت كل مدينة منعزلة عن الاخرى فلا تختلط بها ولا تتصاهر من أهلها وصارت رومية هي المركز الوحيد لتجارة هذه المدن وفسخت المعاهدة اللاتينية فكانت هذه الحرب

درساً نافعا للرومان اذ علمتهم كيفية الاستعمار والطرق التي يجذبون بها الأمة المغتصبة وكانوا يعلنون اللاتين بمنحهم الحقوق المدنية التي لأنفسهم اذا ظلموا مخلصين للجمهورية الرومية وشهد المستقبل بحسن طويتهم فكانت هذه السياسة المخدرة المبذبة على الحيل والدهاء ناموس الاستعمار الروماني فتفانى اللاتين في محبة رومية التي اعترت بهم .

٥ — حرب السامنيث الثانية — لما امت رومية جانب اللاتين الذين اصبحوا بنعمة العدل اخوان الرومان في السراء والضراء أشهروا الحرب على السامنيث سنة ٣٢٧ ق . م فظلت اثني وعشرين عاماً قاتل في خلالها كل بشيمة نادرة ليحظ لنفسه الزعامة على القبائل الايطالية قاطبة ولقد رزق الله السامنيث قائداً مدرباً كثير الخبرة الحربية واسع الحيل والدهاء يدعى (كايوس پونيوس) الذي حاصر الجيش الروماني بأجمعه في وادى (كودين فورك) وسد عليه المسالك فلم ير القناصل بدا سوى ابرام الصلح مع القائد السامنيثي الذي أطلق سراح الجيش الروماني الا ان مجلس الشيوخ رفض هذه المعاهدة واعتبرها غير قانونية لعدم تصديق المجلس عليها مبدئياً ولذا

أمر بإرسال القواد الذين هم القناصل الموقعون على صك الصلح
 سجناء إلى القائد السامني الذي أرسل يقتنع المجلس بأن الصلح
 قانوني وبأنه كان حتما سيناله إذا أصر على أسر الجيش الروماني
 وقال إذا لم يقتنع المجلس فلا بأس من إرساله الجيش الروماني
 أيضا إلى ممر (الكودين) فلم يحفل المجلس بقوله وأخيرا
 استأنف القتال والطعان غير أن الأتراك كان تخوفوا من
 الرومان فانضموا إلى السامنيين فأذاقهما الرومان نكالا
 وعذابا اليما في واقعة (كير) سنة ٣١٢ ق. م. ثم إن السامنيين
 نُسبت من الظفر ولم تقو على قتال الجيوش الرومانية المستبسة
 فألقت سلاحها مصالحة سنة ٣٠٤ ق. م. وتركت ميدان
 الوغى وتفرقت أيدي سبا

٦ — حرب السامنيين الثالثة — لم يمكث الصلح طويلا
 بين رومية والسامنيين الذين خافوا على حياتهم المهددة إزاء
 القوى الرومانية ونمو سلطة رومية ولذا اتفقوا مع كل من
 الأتروسكان والغول والعمبيريان وباقي القبائل المعادية للرومان
 على إشهار الحرب وكسر شكيمة الجيوش الرومية للقضاء على
 سطوة جمهورية رومية وقبرها وهي وليدة قبل أن يستفحل

خطرها فتستعبدهم وتقودهم بيد من حديد فما بدرت طلائع سنة ٢٩٥ حتى تجمعت الجيوش الاتحادية التي اشتبكت مع الجنود الرومانية في موقعة عظيمة بالقرب من (سنتيوم) فانتصر الرومان انتصاراً باهراً وما أقصرم عامان على واقعة (سنتيوم) هذه حتى أسر الرومان القائد السامني العظيم (كايوس پونتيوس) فأذاقوه كأس الحمام ولم تأخذهم به شفقة وبذلك صفا الجو للرومان اذ أصبحوا سادة ايطاليا وقهروا أعداءهم فلم يبق أمامهم سوى ضم القبائل الاغريقية الضعيفة التي تقدم الكلام علينا وبعدئذ تصبح بلا ريب شبه جزيرة ايطاليا مستعمرة لهم لا منازع لسلطانهم فيها

٧ — حرب ييروس ملك اييروس — لما بنت رومية اسطولا تاقت نفسها ان توسع متاجرها مع سكان موانئ البحر الابيض المتوسط وتغزو ما يمكن فتحه وضمه الى المستعمرات الرومانية سيما بعد ان ذاقت حلاوة الظفر وثمرات الفتح — في تلك الحروب الدامية التي انتشبت بينها وبين القبائل الايطالية فلم يبق عليها من ضم سائر سكان ايطاليا سوى القسم الجنوبي الذي ظل مستقلاً بنفسه عن رومية حتى

زمن القنصل الشهير (فابريسيوس) وكان الرومان قد تعاهدوا مع اهل (تارنتة) وبالرغم من وجود هذه المعاهدة فان اسطولا رومانياً دخل خليج تارنتة مكوناً من عشر قطع تحت امره القائد (فاليريوس) ولم يكن قصده عدائياً الا ان التارنتيين اغرقوه سنة ٢٨١ ولما ارسل الرومان سفراء لطلب الترضية عما لحقهم نهينوا وطردهوا .



وأصل أهل تارنتة من مهاجري اليونان الذين قدموا من (اسبارطة) واشتهرت عنهم الشجاعة وحب القتال والغلبة على الاعداء غير ان الثروة الطائلة التي اكتسبوها أوجبت تراكنهم الى الخمول والكسل فأفقدتهم المزية الحربية واخيراً تخوفوا من نمو النفوذ الروماني فأصبحوا جواسيس يتلصصون اخبار الرومان لينقلوها الى اعدائهم ولما رأى أهل تارنتة سوء عاقبة أمرهم وعلى الاخص اهانتهم للمفير الروماني (پوستوموس) طلبوا من (بيروس) ملك (ابيروس) ان يساعدهم وكان هذا الملك الشاب شغوفاً بالمعالي تائفاً الى تدوين اسمه في صحائف الابطال العظماء ليرجع عهد اسكندر

المقدوني فتوجهه ومعه ٢٢٠٠٠ من المشاة و ٣٠٠٠ من السوارى و ٢٠ فيلا فلما أبصر الجيش الرومانى الفيلة حل به الرعب وتشتت طرائق قداما ولذا هزم في واقعه (هيراقله) الواقعة على نهر (سيرس) سنة ٢٨٠ ق . م ولقد أرسل بيروس لقائد الرومان قبل حدوث هذه الواقعة ما يأتى :

(أن سرح جيشك واحضر خلعاً أهامى وبث شكواك ارحابى العالى واني بعد سماع أقوال الفريقين سأصدر حكماً يجب حتما مراعاته وانويل ابن خافني فمصاني) فأجابه لافينيوس (نحن لا نرضاك حكماً ولا نخشى غضبك) ولما انتصر على الجيش الرومانى أراد هذا الملك ابرام الصلح فلم تصغ رومية لقوله فاستأنف القتال فانتصر على الرومان أيضاً في الواقعة الثانية التي اشتعل وطيسها بقرب (اسكولوم) وان فقد أكثر جيشه ثم انه أراد الصلح فأرسل وزيره الحكيم اليونانى الشهير (سنياس) أحد أهالي تساليا الى رومية فلم يجب الى طلبه فعاد خاسراً ومما قاله للملك (انى وجدت مجلس شيوخ رومية بمجمع ملوك) وأخيراً ترك بيروس ايطاليا قاصداً صقلية حيث قضى فيها سنتين حزاني مساعدة

اليونان ضد أهل قرطاجنة ثم أنه رجع إلى إيطاليا لينهي الحرب
 إلا أنه هزم في وافة (بذقتوم) سنة ٢٧٥ ق . م وأخيراً خارت
 قواد وحل بجيشه الدمار فرجع إلى بلاده وما انتقضت ثلاث
 سنوات حتى قتل هذا الملك من يد سيدة بينما كان يحاصر
 (ارغوص) اذ قذفته بحجر فاحتلت رومية سائر البلاد
 الايطالية وأصبحت السلطنة الطاعة الاحكام وفي طلائع عام
 ٢٧٢ ق . م . احتلت بلاد صقلية وسبحان المعز المذل !!



الحكومة الرومانية

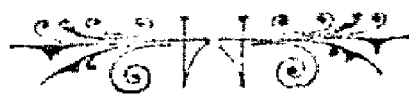
في إيطاليا

بعد أن طرد الملك (بيروس) صفا الجو لرومية اذ لم تجد مشقة في الاستيلاء على جنوب ايطاليا ورأت حفظاً لنفوذها وتأيداً لسلطتها أن تتبع سياسة التفريق بين كل مدينة وأخرى وذلك بأن تحرم عليها الاتجار مع مجاورها وان لا يتزوج رجال احداها من نساء الاخرى وكانت ايطاليا مكونة من عدة مدن لكل مدينة رئيسية مستعمرات أو أقاليم تابعة لها فكان الرومانيون العنصر السائد ذا السلطان والبطش ويتلوه اللاتين الذين منحوهم بعض الحقوق المدنية وامتيازات أهل رومية ما عدا بضع رغبات كانوا يعالون أنفسهم بمنحهم اياها على ممر الأيام وترك الايطاليون يحكمون مدنهم مع حفظ سيادة رومية عليهم وان يجندوا أبناءهم ويرسلوهم عند الحاجة للانضمام الى القوات الرومانية . ولقد استعملت رومية طريقتين في سبيل ابقاء ايطاليا سرمدياً تحت سيادتها حتى انها احتفظت

بهما وأصبحتا شعارها ومبدأها الرسمي — في مستعمراتها الأولى إنشاء المستعمرات والثانية الطرق التي كانت بمثابة سكك حديدية في أيامنا هذه لأنها كانت تستعمل في نقل الجنود والذخائر الحربية عند حدوث أي ثورة أو تمرد فضلا عن كونها طرقا للبريد وورود الاخبار بسرعة ولقد كانت متينة البناء حتى ان آثارها لم تزل باقية الى وقتنا هذا !!

اما المستعمرات فكانت عبارة عن اقطاعات أخذت من الأمم المتهورة وجعلت مسكنا لاهلها ووطن الفاتح والذي سهل لرومية إنشاء هذه المستعمرات تخاذل اغلب محالفيها وعدم امكانهم الاتحاد على القضاء عليها وعلى مطامعها وخطرها الدائم فكانت هذه المستعمرات الصغيرة اشبه برومية او بنجوم متلائة في سائر البقاع الايطالية والحقيقة ان هذه المستعمرات كانت قلاعاً أو حصوناً لحفظ ايطاليا واستتباب الأمن فيها وليست كما نتوهم حصونا حربية وانما كانت مدارس لتعليم سكان ايطاليا المدنية الرومان وكيفية الزراعة ولقد اشتغل الرومان بشتات في حقولهم وهم من مستعمراتهم الجديدة حتى تاقت نفوس الايطاليين الى تقليدهم وقد تشبعوا بحبهم وتمكنت

من فهم المدنية الرومانية وان كنا ننتقد سياسة رومية لعدم مساواتها في معاملة محالفيها اذ كثيرا مارعت اللاتين وحابت فريقا من الايطاليين دون أخيه وسمحت لحكوماتهم بأن تدير شؤونها البلدية بنفسها وان تترك الخارجية لمجلس رومية ومما يجدر ذكره ان هذه الامم احتفظت بقضايتها وجميعياتها وأبقت نظامها ولم تغير من حالتها شيئا الا انها منعت من قبول سفراء اجانب في بلادها ومن المتاجرة مع بعضها والمصاهرة وكان يقضي نظام الجمهورية ان ترسل قضاة يجوبون المملكة من بلدة لاخرى لاجراء العدالة وكانوا يدعون (prefix) ومعناها الحكام ثم عدلت طريقة الانتخاب فبعد ان كان يقضي تنحي القنصل عن قيادة الجيش عند انتهاء مدته فترك الجند بدون قيادة ريثما يعين خليفه أطيلت مدته حتى يتم تعيين خلفه وكان في هذه الحالة يسمى قائم مقام قنصل .



فتح قرطاجنة

حروب روميت مع قرطاجنة (١)

الشهيرة بالحروب اليونيقية

﴿ الحرب اليونيقية الاولى ﴾

﴿ ٢٦٤ — ٢٤١ ﴾

(١) سبب تأسيس قرطاجنة أن ملك صور (بغاليون) كان جبارا بخيلا يحب المال حبا جما فقتل خاله زوج اخته (ديدون) المدعو (اسرباس) طمعا في الاستيلاء على ثروته الطائلة فهربت (ديدون) خوفا على ميراثها وشجنت ما تركه يعلها من الاموال ثم انها اشترت قطعة خصبة واسعة المساحة من الاراضي القرية من موقع (توانس) ازاء جزيرة صقلية سنة ٨٤٠ ق . م وقد استصحبت معها نفرا من أهل الفضل والعرفان ودعيت مستعمرتها هذه (المدينة الجديدة) وترجمتها

﴿ الحرب اليونانية الاولى ﴾

استخدم (اغاتوكأس) اليوناني ملك سيراكوس عدد كبيراً من بواسل اهل (كامپانيا) وألحقهم بجيشه وكانوا يدعون (مارتينيين) رغم انهم بلادهم فلما توفي قام أهلها فأبوا الا تطهير ديارهم من الغرباء فقتلوا بهم تمثيلاً شنيعاً وقتلوا منهم عدداً

قرطاجنة وبعد قتل ديدون أصبحت قرطاجنة حكومة ملكية ثم تحولت الى جمهورية وفي كل تلك الاثناء اشتهر أهلها بحب التجارة والفتح والاستعمار فبنوا الاساطيل القوية واستولوا على ساحل افريقيا من طرابلس الغرب الى المحيط الاطلسي وضمت الى مستعمراتها جزائر البليار وقورصقة وسردانيا ومالطة وجنوب اسبانيا وتعاهدت مع اليونان ولقد كانت هي والأتروسكان كما قدمنا اصحاب النفوذ البحري في البحر الابيض المتوسط غير انه في سنة ٣٠٠ ق م أصبحت مطامع قرطاجنة لا تحصى فنافست رومية وأرادت الاستيلاء على جزيرة (صقلية) مما افزع الرومان لان القابض على هذه الجزيرة لا بد يوماً ما ان تطلع نفسه الى ضم ايطاليا اليه والعكس بالعكس فاحتدمت نيران العداوة بينها وبين

عظيماً فهاهم من بقي على وجهه الى (مسينا) ولما وجدوا من أهلها الكرم والدعة شأن الذين لا يتأملون في العواقب ويفسحون احضانهم للاجانب قتلوهم واخرجوهم من ديارهم يعضون بنان الندم ولما قدم الملك (بيروس) لمساعدة يونان صقلية كما قدمنا في موضعه اشتغاث اهل (ريبيوم) بالرومان الذين اجابوهم الى طلبهم فارسلوا اليهم حاميه من اهل (كامپانيا) وما اشبه

الرومان فأدت كما سنعلم الى دمار قرطاجنة وسحقها من صحيفة الوجود سنة ١٤٦ ق . م وسبب ذلك ان مديري دفعة حكومتها كانوا فئة قليلة من الاشراف ولذا كانت نظاماتها مضطربة فجعلها الرومان اثرا بعد عين مع انها كانت قوية بجيوشها وأساطيلها ولم تظهر عليها مملكة في بلاد أوربا سوى رومية ولقد كان القرطاجينيون يعاملون مستعمراتهم بالشدة المتناهية والقساوة الزائدة وكانت مبادئهم ابتزاز اموال رعاياهم ولذا كانوا مبغوضين بيد انهم أحسنوا معاملة سكان صقلية نوعاً ما .

وأخلاق القرطاجينيين كالفيذاقيين لم يصلحوا ليسوسوا اناساً آخرين وان كانوا قد أثاروا على الرومان حرباً شعواء .

اليوم بالامس فانها لما توسمت من سكانها حسن الضيافة والتعظيم
سأمتهم عذابا اليما لم يعذبه أحد من العالمين وتمادت في جبروتها
لاشتغال الرومان بحرب (يروس) حتى اذا هزم ورحل الى
بلاد قاصت رومية هذه الحامية قتلا وبثرا وجلدا بيد ان
ملك سيراكوزا لم يندمل جرحه من غدر (المامرتينيين)
فبكت ست سذنين يجهز الذخائر والعدد ثم فاجأهم فجعل دماءهم
انهارا ومن بقي منهم انقسم الى حزبين احدهما ارسل يستغيث
بالرومان وثانيهما بقرطاجنة التي سلم اليها قلعة المدينة
فارتاعت قلوب الرومان من هذه الاخبار وتأكدوا بان مسينا
وسيراكوزا سيصبحان في قبضة قرطاجنة التي بلا شك
ستهدد صفو رومية وتتطلع الى غزو ايطاليا ولذا ارسل
القنصل (ايوس) بجيش كثيف الى صقلية فطرد الحامية
القرطاجنية من مسينا ثم رجع الى ايطاليا ليتأهب للهجوم
على صقلية ولما علمت قرطاجنة بانهمزام جيوشها في مسينا بلغت
روحها التراق وعدت ذلك اهانة وعارا لا يحيان وقد تحالفت
مع (ايرون) ملك سيراكوس وانضم المامرتينيون الى الرومان
وفي تلك الاثناء اتقض الجيش الروماني على (ريجيوم)

فاحتلها وأراد أن يجتاز اليم لمحاصرة (مسينا) فهاله منظر
 أسطول قرطاجنة غير أنه تربص له في ليلة حالكة السواد
 ثم عبر جنوده البحر على مراكب أهل (تارنتة) فاحتلوا
 (مسينا) ومزقوا شمل جيش سيراكوزا التي تقدمت على
 طيشها لمساعدتها عدوين أيهما كان فائزاً يكتلها والاحتلال
 ذل فلزمت الحياض ثم أن القائد الروماني (ايوس) فاجأ
 جيوش قرطاجنة فشنت جموعها وبدد وحدتها ولذا تقدم
 ملك سيراكوس اليه محالفاً وأخيراً تيقنت رومية ان لا سبيل
 إلى احتلال سواحل صقلية ما دامت خالية من أسطول بحري
 يضارع أسطول العدو فحدث عفو ان سفينة قرطاجينية
 قذفت بها الأمواج إلى الساحل فضبطها الرومان واخذوها
 نموذجاً حيث بنوا ١٢٠ سفينة في شهرين بينما كان القرطاجينيون
 تأهبين في يبداء الخلاء ففي طلائع سنة ٢٥٩ ق . م خرج
 الأسطول الروماني تحت قيادة (دويديوس) والتحم بالأسطول
 الأعداء فأغرقه وجرّد سيوفه في رجاله واحتل جزيرتي
 قورصقة وسردانيا .

وسبب نجاح الأسطول الروماني أن قواده استعملوا

جسورا خشبية طويلة علق الواحد منها في صاري السفينة
وكان طرفها مديا وبواسطته أمكن للرومان الدخول في السفن.
القرطاجنية ومقابلتهم العدو وجها لوجه !!

وفي سنة ٢٥٥ ق . م . أعطيت القيادة العامة للجيش
الرومانية برية وبحرية الى مرسىوس ريغولس فانتصر على
الجيش القرطاجني في عدة مواقع ثم استأنف السير الى افريقيا
للاستيلاء على قرطاجنة نفسها فاحتل تونس وانتصر في
عدة مناوشات ثم شرع يحاصر قرطاجنة فأرسلت تطلب
منه الصالح فاحتقر (ريغولس) طلبها ثم قبل بشروط قاسية
مهينة فرفضت قرطاجنة طلبه وعزمت على اراقة دمها في سبيل
اعزاز نفسها ونيل أكاليل الفخار فاستدعت عساكر مؤجرة
من بلاد اليونان ثم درّبت جيشها فأصبح يسارع للقتال
مسارعة الظلمات للماء فاتقض كالرعد القاصف على الجنود
الرومانية فأوقع الرعب والفشل بين صفوفها اذ اختطف مهبج
بواسلها وأسر قائدها المتكبر (ريغولس) فحصل فتور بين
المتحاربين بعدئذ وفي سنة ٢٥٩ أغرق الرومان ١١٤ سفينة
قرطاجنية وبعد عشر سنوات أسرت الجيوش الرومية أغلب

الجنود القرطاجية الضاربة في جزيرة صقلية فارتفعت
قرطاجنة وأرسلت (ريفواس) أسيرها الى رومية بعد ان
أخذت عليه الموائيق ليطلب الصلح باسمها وفي صحبته فئة
من السفراء فلما ذهب الى رومية نصح المجلس بالثبات ومداومة
القتال ورفض الصلح ثم انه رجع براً يمينه الى قرطاجنة التي
علمت بدسائسه فصلبته ومات ضحية الواجب المقدس نحو بلاده
العزيرة فاستاءت رومية واستأنفت القتال في صقلية مدة تسع
سنوات والجيوش الرومية لم تقو على هزم القائد القرطاجيني
الاعظم (هملكار بارقا) الذي ناوأها خمس سنوات في قلعة
(أركيت) الواقعة على الساحل الغربي لصقلية فاضطرت رومية
أن تبني أسطولاً آخر .

وما وافى عام ٢٤١ حتى انتصرت الجيوش الرومانية على
القسم الغربي من صقلية واحتلت مدينة (ليليوم) (وتسمى
الآن مارسالا) بعد ان دحر الاسطول القرطاجيني بالقرب
من جزائر (ايثانتا) الواقعة امام ليليوم فاضطرت قرطاجنة الى
عقد الصلح سنة ٢٤٠ ق . م بحضور هملكار بعد ان استعرت
هذه الحرب أربع وعشرين سنة وأهم ما جاء في شروط هذا

الصلح ان تسلم قرطاجنة الأسراء الرومانيين وان ترحل جيوشها عن صقلية وتدفع غرامة حربية لرومية مقدارها ثلاثة آلاف وزنة من الفضة وان تتعهد رومية باحترام أملاك قرطاجنة والا تتعدى على حلفائها والعكس بالعكس وكافاً الرومان ملك (سيراكوس) اذ تركوه يحكم بلاده وأدخلت بقية صقلية في تعداد الاملاك الرومانية وجزيرتا سردينيا وقورصقة وعين على كل منها حاكم يدعى (پريتور)

الحرب اليونانية الثانية

٢٠١ — ٢١٨ ق م

لم يكن عقد الصلح في الحرب اليونانية الاولى سوى هدنة في الحقيقة لان الفريقين تعبوا من المناوشات الحربية ولذا عزم كل منهما على الصلح ظاهراً والاستعداد لسحق أخيه فلم يئأس القائد العظيم (هيميلكار) بل عزم عزمه ا كيداً على رفع رأس بلاده من عار الجزية والهوان فاقترح على بلاده ان يرحل الي بلاد اسبانيا ليدرب القرطاجنيين على

الحرب والقتال وما وطئت جيوشه اسبانيا حتى انضمت اليه قبائل عديدة اشتهر عن رجالها الاقدام فعلمها الطرق الحربية وحب الظفر واصطحب هيلكار معه ولده هنديال وهو في التاسعة من عمره بيد أنه حلف امام ابيه بأنه سيفدي حياته في محاربة الرومان وظل القائد هيلكار يغزو اسبانيا من آونة الى آنة حتى جعل حدود السيادة القرطاجينية نهر (التاج R.Tagus) ولما توفي هذا الباسل العظيم والشهم الوطني الكريم خلفه في القيادة العامة ابنه (هزدريال) الذي نهج منهج استاذة وزاد في مستعمرات بلاده حتى توفي قتيلا في سنة ٢٢١ ق . م فاستندت القيادة الى هنديال وكان عمره ستة وعشرين عاما وبينما كان القرطاجينيون يتأهبون للحرب كان الرومانيون يؤدون (أهل الغالة) الذين طردوا وراء نهر (الپو) وتعدت جيوش رومية على اقتحام الأخطار وشقة الأسفار واجبار الأعداء الى الفرار الا ان هنديال اعتبر سكوت جيشه عن محاربة الرومان العار كل العار ولذا أشهر الحرب عليهم في سنة ٢١٩ ق . م واندلع لهايبها سبع عشرة سنة وسببها ان هذا القائد لم يراع معاهدة الصالح الاولى

التي جاء فيها الا يتعدى أحد الفريقين على محالفي أحدهما فإنه حاصر مدينة (ساغنتام) ثمانية أشهر وكانت واقعة على الساحل الشرقي لاسبانيا واصل سكانها من اليونان الذين استكنوا الى الراحة والكسل وأخيرا التجأوا الى الرومان خوفا على أنفسهم من سطوة قرطاجنة فاصبحوا حلفاءهم ولما لم يقو أهل ساغنتام على قتال هنيبال أضرموا النيران في المدينة وألقوا فيها حليهم وأموالهم ثم نفوسهم فسهل على الجيوش القرطاجنية فتحها ولما علم الرومان بما حل بهم أرسالوا الى قرطاجنة محتجين على عملها فلم تكثر بهم وأشهرت الحرب عليهم فلم يكن من القائد (هنيبال) الا ان اخترق جبال البرينات واحضر في يومين القوارب اللازمة لتعدية جنوده نهر (الرون) وكانت الغول تقاومه على الشاطئ الآخر فلما جن الليل أرسل عساالهم واتبعهم بفصيلة فاحرقت سائر خيام الغول وكانت هذه علامة دعوة بقية الجيش فاتى البر على قوارب سريعة ثم نكل بالغول تنكيلا الجأهم الى الفرار ثم اجتاز جبال (الالب) بكل مشقة لان سكان الجبال كانت تقذف عسكره بالحجارة ثم وصل الى

إيطاليا فهزم الجيوش الرومانية في واقعة (نهر تيسينو)
سنة ٢١٨ ق . م وعبر نهر (الپو) وبينما كان يزحف اذا
بجيش روماني تحت قيادة القنصل (طيبيريوس لونجوس) يعده
لمهاجمة الجيش القرطاجيني وكان الحد الفاصل بين الفريقين
(نهر طريبيا) فانتصر هنيبال عليه انتصاراً مبيناً وطرده
من بلاد الغول فأصبحت إيطاليا الشمالية يخفق عليها لواء
قرطاجنة واهلها تصافح هنيبال وتمهد له الطريق وما وافى
عام ٢١٧ حتى دخلت جيوشه بلاد — اتروريا — فاتحة
غائمة ثم قصدت رومية نفسها فلما بلغت هذه الاخبار الى
سماع الرومان حل بهم الرعب وأرسلوا جيشاً كثيفاً تحت
قيادة القنصل (كايوس نيبوس) لمقاتلة (هنيبال) فالتقى
الجمعان عند بحيرة (طرازيميناس) وكان اليوم عصياً هزم فيه
الرومان ازاء الجيش القرطاجيني البالغ عدد رجاله ١٠٠٠٠٠
مقاتل كاملة العدد والعدد فعزلوا قناصلهم واقاموا (فيبياس)
بوظيفة — ديكتاتور — فلما ابطأ قائدهم في قهر (هنيبال)
عزلوه وعينوا قنصلين بدله فهزمهما هما وجيوشهما في واقعة
(كاني سنة ٢١٦) وكانت اشلاء الرومان يبلغ عددها

٧٠،٠٠٠ مقاتل بينما الجيش القرطاجيني لم يخسر سوى ٢٠٠٠٠ جندي ففقدت رومية من رحمة الله واعتبرت قهر (هنيبال) فوق طاقتها . هذا ولما أيقنت بضعفها أرجعت جيوشها الى ديارها وفي تلك الأثناء طلب (هنيبال) المدد من قرطاجنة فلم تسعفه سريعا وأوجست خوفامنه وكان اخوه - هزدريبال يحارب بعض الجيوش الرومانية في اسبانيا وبينما كان هنيبال في موقفه هذا كان الرومان يجمعون الجيوش الجارة ويمرّنون الأبناء ففتحوا مدينة - (سرقوسة) بصقلية التي كان استولى عليها القرطاجيديون سنة ٢١١ ق م وكان قد قتل في فتحها العالم الطبيعي الشهير (أرخيدس) صاحب قانون قوة المياه .

وحاول - هزدريبال ان يترك اسبانيا في سنة ٢٠٧ مجتازا جبال الالب ليساعد اخاه فسار بجيوشه بقرب الساحل الشرقي لاطاليا ليحرق بالجيوش القرطاجينية في جنوبها فتصادف ان رسل (هزدريبال) الحاملة نبأ حضوره الى هنيبال أسرها الرومان فعلموا ما كان كامنا لهم في الغيب فاستدعوا جيوشهم التي كان يرأسها القنصل (كايوس

قلوديوس) في جنوب ايطاليا ليلحق القنصل الآخر في الشمال كي يقضيا سويا على هزدريال قبل ان يتوغل في بلادهم . فتجمعت الجيوش الرومانية على جنود هزدريال فألحقت بهم الهزيمة بالقرب من نهر (ميطوراس) وقتل هزدريال في هذه المعركة ففرح القنصل الروماني (كايوس قلوديوس نيرون) واحتز رأس (هزدريال) ثم استأنف العودة لمكافحة جيوش (هنيبال) فألقى رأس أخيه في خيمته فغم عليه وعلم باستحالة أمداده وتعذر مقاومته الرومان مع احتياجه الى الزاد والرجال الا أنه تشجع ولم يترك ميدان القتال فتركه الرومان وأرسلوا في سنة ٢٠٩ (پابليوس سيبيو) الى اسبانيا فحذب أهلها بحسن معاملته وما مرت ثلاث سنوات حتى تعلقوا برومية وساعدوه على طرد القرطاجينيين وقد أفلح في ذلك . فطار صيته في الآفاق ومارجع الى رومية حتى عين قنصلا فاقترح مهاجمته قرطاجنة نفسها بالذهاب الى افريقية وفعلا ذهب بجيوشه سنة ٢٠٤ ق . م فلما وصل الى البر انتهز الفرصة ليلا فحرق خيام المعسكر القرطاجيني فجعل الجنود مدبرة فذعر القرطاجينيون وأرسلوا يستدعون

(هنيبال) يعد أن لبث أربعة عشر عاماً فذهب بجأش لينقذ بلاده من جيوش الرومان غير أن رحى الحرب دارت عليه اذ هزمه القائد الروماني (سيبو) في واقعة - زامة - سنة ٢٠٢ ق . م فلم تر قرطاجنة بدا سوى عقد الصلح بتنازلها عن سائر مستعمراتها واشترط الرومان عليها أن ترد أسراهم وما غنمته من السفن الرومانية وأن تدفع غرامة من الذهب قدرها عشرة آلاف وزنة . لحزن (هنيبال) على هزيمة بلاده فعزم على استرجاع مجدها بطرق مختلفة اذا انتهز محاربة الرومانيين ابلاد اليونان فشرع يقوي الجيوش القرطاجينية فامرت رومية بضرب عنقه ففر الى (انديخوس) ملك سوريا وحرضه على غزو روميه ولما لم يجد وسيلة قتل نفسه سنة ١٨٣ ق . م كيلا يقع في ايدي اعدائه فراح شهيد الشهامة وحب الوطن بعد أن لعب بأمة عظيمة وأرهبها بشخصه وبانتهاه هذه الحرب أصبحت رومية أكبر أمة في البحر الأبيض المتوسط وصار أسطولها عظيماً وقد أرسلت أربعة آلاف جندي الى اسبانيا لاستئاب الأمن فيها والضرب على ثوارها وقسمت الى اقليمين حكم كل منهما (پريتور) غير

أن أحد أحرار اسبانيا المدعو (فيرياثوس) وكان من أهل (لوزيتاني) ناوأ الرومان سبعة عشر عاماً وذلك بسبب رداءة حكومتهم وكان أصل هذا الفارس راعياً ثم أصبح ملكاً على بلاده ولم يتخاص الرومان من فتنه إلا باغتيال حياته بأن رشوا فئة من أتباعه فقتلوه سنة ١٣٢ فلم يبق للرومان منازع سوى مدينة (نومانتيا) الواقعة في شمال اسبانيا فحاصرها البطل المغوار (إميليو سيبو) ومنع عنها الزاد فأسلمت بعد أن فشلت فيها المجاعة وبذلك صفا الجو في وجه الرومان فأصبحوا سادة الأسبان !!

مهمته الثانية

الحرب البونيقية الثالثة

مضى على هذه الحرب الثانية التي جعلت قرطاجنة تحت رحمة الرومان ستون عاماً ورومية لم يندمل جرحها من قرطاجنة ذلك لما لحقها من الذل والصغار من جراء احتلال بلادها وقحة هنيبال. فعزمت على إبادة هذه الجمهورية ولذا جعلت (مسينيسا) ملك بلاد (نوميديا) الواقعة بقرب قرطاجنة مراقباً عاماً على قرطاجنة ليخبر رومية باستعدادها

ويوقف خطرهما بجنوده اذا دعت الضرورة إلى ذلك !!!
فتاه هذا الملك عجباً وحارب قرطاجنة لأقل مناسبة واحتل
كثيراً من مدينتها فارسلت إلى مجلس رومية تطلب إيقاف
الملك مسينيسا عند حده فأجابها المجلس بأن أرسل بعض
المحققين وكان منهم (كانون) فلما عاد برّر عمل ملك (نوميديا)
وأقنع المجلس بضرورة القضاء على قرطاجنة لأن خطرهما يزداد
يوماً عن يوم بفضل مجهودات ابنائها الذين حسنوا حالة
بلادهم الاقتصادية واكثروا من معامل الأسلحة مما يبشر
يوماً ما بإعلانهم الحرب على رومية ففي سنة ١٤٩ اقتنع المجلس
بافكاره الشيطانية فأرسل ٨٤٦٠٠ مقاتل للتحرش بالقرطاجنيين
وأوحى إلى القنصلين قائدي الجيوش الرومانية بأن يعرضوا طلبات
شديدة مهينة على قرطاجنة فطلبوا منها إرسال ٣٠٠ شاب من
ابناء خلاصة اعيانها ليكونوا وديعة في رومية تضمن لها اذعانها
لأوامر المجلس فأجابت قرطاجنة طلب القنصلين وقد تدزعت
بجلباب الصبر وأظهرت المذلة فلم ترحمها رومية بل اشترطت
عليها أن تسلم سائر الأسلحة والعدد الحربية الموجودة ببلادها
فأذعنّت لطلبها أيضاً وبأليت رومية قد اكتفت بذلك بل

أعلنت سكان قرطاجنة بأن يرحلوا منها ويبنوا غيرها على بعد
عشرة أميال من الساحل لأنها عازمة على تدمير قرطاجنة
وجعلها مأوى للبروم والغربان ومنتجعاً للجرذان فبكي الرجال
وولولت النساء وهذان القنصلان لا يرحمان وأخيراً أبت
نفوسهم ألا يتركوا بلادهم غنيمة باردة فعزموا على اإراقة
دمائهم ليحفظ العالم طراً بأن بلادهم تهدم إلا بعد أن خضبت
بدمائهم الطاهرة ولذا حصنوا المدينة واغلقوا أسوارها ثم
واصلوا الليل بالنهار في عمل الأسلحة ليذيقوا الرومان ناراً
حامية فكانت الرجال شيوخاً وغلماً نساء وعبداناً يشتغلون
جد وقصت النساء شعورهن لاستعمالها حبلاً وفي تلك
الأيام نام القنصلان ثملين مؤميين أن القضاء على قرطاجنة
من أيسر الأمور لكونها أصبحت عزلاً من السلاح فلم
ينظروا إلا وجيوشها شاكية السلاح تحت قيادة البطل المغوار
(هزدريال) وفي لغة (اسدروبال) وقد قاوم الجيوش الرومانية
سنتين بشجاعة وإقدام فأرسلت رومية في سنة ١٤٦ القائد
(بابليوس سيبيو) بن القائد الشهير سيبيو صاحب موقعة زامة
فأبس سيبيو جلد النمر وجمع ما تفرق من جيشه ثم هجم بفصيلة

من جنوده على أسوار قرطاجنة فافلحوا في تسلقها فحكموا
سيوفهم في رقاب الالهين ودارت رحى الحرب في الطرقات
العفوية والمنازل وقبل ذلك حاصر سيبيو خليج قرطاجنة ففتح
عنها الزاد وبلغ عدد ما قتله الجنود الرومانية زهاء ٦٥٠٠٠
نفس زكية وباع سيبيو من بقي من الالهالى ثم اصدرت
رومية أسرها الى قائدها بحرق قرطاجنة عن آخرها وذلك
معالمها لتمحى من صحيفة الوجود ويغسل عار الرومان بسحقها
فاصبحت قرطاجنة بعد العز والجاه والملك والسلطان أثر ابعد
عين وسبحان المعز المذل له ملك السفوات والارض وجعلت
اطلال قرطاجنة مديرية رومانية دعيت بافريقية وهكذا كان
مبدأ الرومان في الامم التي كانت تناهضهم وتقاومهم.

وأما من جئنت عن القتال وسلمت نفسها الى احضانها
رحبت بها وأغدقت عليها انعامها وتركها تدير شؤونها بنفسها
بشرط ألا تعصى أوامرها . وبعد خراب قرطاجنة اصبحت
رومية الطاعة في البحر الابيض المتوسط صاحبة القوة والبطش
بعد أن كانت مدينة صغيرة لا حول لها ولا سلطان وسبحان
الحي الدائم . . .

فتح بلاد المشرق

(١) فتح بلاد مقدونيا - أشهرت جمهورية رومانية الحرب على مملكة مقدونية في سنة ٢٠٠ ق . م بدعوى ان ملكها ساعد القائد هنيبال ضدها ولم يرع العهود والمواثيق والحقيقة ان رومانية تخوفت من مقدونية لقربها من ايطاليا فأرادت الا تعيد رواية اسكندر الاكبر بن فيلبس الثاني الذي فتح ممالك العالم المعروفة ولا يخفى ان مقدونية كانت صاحبة السيادة على سائر الشعوب الاغريقية وان في اضعافها سبيلا لا خضاع سكان البلقان ولقد ظلت الحرب مضطربة مدة واخيراً انتصر القائد (نيتوس فلامينيوس) على جيش ملك مقدونية فيليبس الثالث في واقعة (سينوسيفالي) فأخذ عليه ان يجعل سائر اليونان القاطنين في أوروبا وآسيا احراراً مستقلين بمعنى الاسيادة له عليهم مطلقاً ويجب عليه ان يسحب جنوده من بلادهم وان يدفع غرامة قدرها الف وزنة من الذهب ولم يكن قصد رومانية من هذا العمل حب الانسانية ونصرة الضعفاء وانما تفرقة

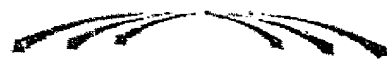
شمل الوحدة الاغريقية وجعل كل طائفة ولاية قائمة بنفسها معادية للآخرى ليتسنى لرومية اخضاعها واحدة بعد اخرى الا انه في طلائع سنة ١٧١ ق . م اشهر (پرسیوس) بن فيلبس ملك مقدونية الحرب على الرومان غير ان الدهر خافه بعد انتصاراته فبهزمه القنصل (پول ايميل) في واقعة (بيدنا) فقسمت مقدونية بعدئذ الى أربع جمهوريات وفي سنة ١٤٨ حارب (اندريسكوس) بن (پرسیوس) الرومان لانه كان يكرههم ناشدا استقلال بلاده فقهرود وشتتوا جيشه شذر مذر وجعلوا مقدونية نهائياً ولاية رومانية .

(٢) فتح بلاد سوريا — انتهز القائد المغوار هنيبال فرصة اشتغال الرومان في حربهم مع اهل مقدونية فشرع يقوي جيش قرطاجنة ويرأب الصدع فارتاعت رومية من ذلك فأرسلت الى مجلس قرطاجنة تأمره بضرب عنق هذا القائد العاصي المخائف لعقد الصلح الحانث يمينه فلم يعارض المجلس لضعفه ولذا هرب هنيبال تحت جناح الليل اليهم والتجأ الى ملك سوريا — (انتيخوس) سنة ١٩٥ ق . م فأكرمه وكان هنيبال يحب اليه غزو بلاد الرومان فجهز

(انديخوس) بناء على الحاحه جيشاً جراراً ليهجم به على بلاد اليونان فاعتصم بمضيق (التروموبيل) الا ان الدهر عانده اذ هزمه القائد (كانوف) فارتد مدحوراً ثم تبعه (سيبو) الكبير الى آسيا حيث هزمه في واقعة (ماجنيسيا) فتنازل عن آسيا الصغرى وكانت رومية تحابي ملك (فرغاما) (١)

(١) في اللغة الاجنبية Pergama ويكتبها بعضهم بالفاء لان الباء في اول الكلمات الاعجمية تكتب فاء مثل افلاطون واصاله Plato وان كنت اخالف القائلين بذلك بل الواجب كتابتها كما ينطقها الافرنج وياحبذا لو كانت في بلادنا اقاذمية تعرب هذه الاسماء التي أصبح بعض المؤرخين والكتاب يعربها اني شاء ذوقه ومع كل فلسفة ممن يؤمن بزعم بعضهم بأنه ينطقها كما ينطقها اهلها اذا علمنا انه مضى على هذه الحوادث آلاف من الاعوام تغيرت فيها اللغات واللهجات واذا كان العربي المصري لا ينطق كالعربي المراكشي فكيف نؤمن ان يونانيا مثلاً في عصرنا ينطق ما نطقه يونانيو ثلاثة آلاف عام فهل تتبع لهجته قضية سلامة اللهم ان هذا ليس

غير انها استولت عليها في سنة ١٣٣ بعد وفاة ملكها (عطيلوس) الذي أوصى بها الى الرومان كأنها ضيعة أو لقمة يتصرف فيها اني شاء اذ لم يعلم انه عبد شعبه وكل يحراسته ومن ثم جعلت آسيا ولاية رومانية وسبحان وارث الارض وما عليها.



﴿ التغييرات السياسية والاجتماعية ﴾

« التي حدثت من الفتوحات في الحكومة والاهالي »

ان الفتوحات غيرت اطوار وأحوال الرومان تغييراً عظيماً فلم يعد اعاضهم هؤلاء البسطاء الذين كانوا يستدعون للذود عن حياض بلادهم وهم في حقولهم يحرقون الاراضي ثم يعودون اليها بعد قيامهم بالواجب عليهم وهم حامدون شاكرون لنعمة الله عليهم وآلائه الوارفة بل اصبح القواد الرومانيون من الموسرين الذين صرفوا سائر اوقاتهم في معامع الحروب وميادين الكر والكفاح واجتياز البطاح وكانوا في اوقات

عدلا وربما كان الاقرب الى الصواب كتابة الاسماء القديمة كما ينطقها الافرنج حتى يمن علينا الزمان باقضية .

السلام ينقطعون لخدمة الحكومة وهم غير قانعين بانقليل اذ
تركوا حياة البداوة ولم يكتفوا بتأدية الواجب عليهم نحو
بلادهم بل شمعوا بالكبرياء واصبحوا يتطلعون الى شارات
الفخار وجمع الاصفر الوهاج وخزن اللجين وجلب التحف
الشمينة بأي طريقة سافلة كانت او شريفة !!

نفوذ المدينة الاغريقية

لما فتح الرومان بلاد المشرق والديار اليونانية وجدوا
اشياء لم ترها عيونهم من قبل الا انهم قصروا همهم على
الملاذ والمأكول والمشرب وبناء النزل الفخمة ولقد كان اليونان
في ذلك الوقت اقدر الناس على الكد والعمل وضرب فلاسفتهم
بكل سهم من الحكمة والفنون فوضعوا احسن الكتب ونصبوا
التمثيل التي تناطح السماء وتفاخر الجوزاء فضلا عن الصور
المتنوعة التي رسمها مهرة الكتاب والمصورين لجميع بقاع الدنيا
القديعة الا ان الرومان لم يأخذوا بأحسن المدينة اليونانية بل
عاهدوا في كل قبيلح فأدخلوا الرذائل اليونانية والعوائد المستقبحة
واتبعوا الآراء السفسظائية فبهروتهم الزخارف السرايية ففسد
اعتقادهم وضعف ايمانهم وتركوا عبادتهم فضربت الرذائل

سرادقها الخالك في كل مكان واضحى الرومان تحت رحمة
الزمان :

وما شبه المصريين بهم فانهم اخذوا بارذل المدنية الاوربية
وتركوا تعاليم دينهم ظهرياً ولم يربأوا بأنفسهم ولعل في قدرة
قرائنا الشبان اصلاح ما افسد الدهر .

پابليوس سيبو الافريقي

كان هذا الرجل معجباً بالمدنية اليونانية حاثاً قومه على
الاخذ باساليبها ولذا كرهه اعظم رجال رومية (رغماً من
كونه قائداً عظيماً هزم عدوهم الألد هنيبال في افريقيا ولذا منحوه
لقب الافريقي بعد حفلة تكريمه) لانه كان مغروراً بنفسه
فغير عوائده الرومانية وكان اكبر خصم معادله (ماركوس
كاتو) الذي كان ينقم على اليونان ومدنية اليونان فضلاً
عن تعصبه لروميته ولقد حذا حذو كاتو أناس كثيرون في كراهة
سيبو واخيرا الصقوا تهمة بأخيه البطل المغوار والصنديد الذي
لا يشق له غبار — (لوسيوس سيبو الاسيوي) (ذلك
القهار العظيم الذي هزم اثينخوس ملك سوريا وأنعمت
عليه جمهورية رومية بلقب اسوي) بانه اختلس هو واخوه

اموال الامة بصفتهما قائدين وطلب وكيل الشعب على اثر عودته من آسيا بان يقدم هو واخوه حساباً دقيقاً لما كان من (پابليوس سيبو الافريقي) الا ان نهض مدافعاً عن نفسه واخيه قابضاً يمينه على سجل قائلان في هذا السجل حساباً يذكر كم بما حزته من الغنائم والاموال فطلب الوكيلان ان يقرأ ما خطه فقال عار على ان اكون مختلساً ثم انه مزق السجل والتفت الى الشعب المكتظ حوله قائلاً في مثل هذا اليوم منذ اربعة عشر عاماً هزمت هنيبال وجيوش قرطاجنة في واقعة (زامة) الشهيرة فلنذهب ولنشكر الالهة على ما اولونا من قوة الدفاع في حفظ وطننا المقدس فاشعل كلامه الحماسي جذوة قلوب الجمهور فتبعوه الى هيكل (الكايتول) وتركوا وكيل الشعب يتغامزان اما اخوه (لوسيوس سيبو الاسيوي) فقد صودرت عقاراته وبيعت امواله ثم ان الافريقي بعد فترة نفي متغرباً عن رومية حتى مات وقد كتبت على ضريحه هذه الجملة (شعب ناكر الجبل)

-- ماركوس كاتو -- ظل هذا الرجل محارباً المفسد اليونانية والعوائد المستهجنة وعلم اولاده على الطريقة الرومانية

المألوفة غير ان الرومانيين وان كانوا قد وجدوا في كلامه بعض غبار من الصحة فانهم وضعوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ولذا عاقب كثيرا من العظماء لما عين احصائيا الا انهم عصوه ومكروا ومكروا كبارا ... !!

اشراف رومية — علمنا انه في عام ٣٠٠ ق م نال العامة سائر حقوقهم المدنية اذ ساواهم القانون بالاشراف فاصبحوا بنعمة المساواة والحرية اخوانا في السراء والضراء اعوانا اشداء على الاعداء وانتزعت من قلوبهم البغضاء الا ان هذه الميزة قد تغيرت كثيرا اذ قصر انتخاب القناصل على اغنياء العامة والاشراف وصارت أسر قليلة ينتخب اعضاؤها قضاة واخيرا فصلوا انفسهم بالتدريج عن بقية الاسر المعلومه ولقبوا انفسهم بالاشراف .

وقد ظنوا انهم اعلا مقاما من بقية العائلات بما لهم من الفضل عليها في خدمة الحكومة فكانت منشأ هذه الشرفية العارضة وجعل شرط العضوية في مجلس الشيوخ ان يكون المرشح غنيا داعية الى جعل القضاة ينتخب من بين

هذه الاسر ذات الشرف الحادث والتي اتحدت على جعل سائر أعضاء مجلس الشيوخ منها ولذا صفا الجو في وجه رجالها فحكموا الجمهورية بحسب ما توحى اليهم نفوسهم .

الحكومة الجديدة في رومية — كانت القناصل تحكم رومية باستشارة ومساعدة مجلس الشيوخ غير انه بعد دخول الاغنياء فيه فانه اصبح اعلا قوة في الجمهورية لا يبالي بالقناصل انفسهم الذين صاروا العوبة يفعلون ما يؤمرون بمعنى ان اعلان الحرب او السلام كان من اختصاص هذا المجلس دون اي مجلس آخر وكانت مبدئياً اعضاؤه من اهل الثقافة والدراية لانهم كانوا مدة طويلة موظفين في الحكومة فجعلوا لائحتهم الداخلية منظمة وطرق استدعاء اعضائه ميسرة فكانوا يقترحون ويقررون بسرعة فلا يصادفون امامهم عراقيل اما الجمعيات الاخرى وفي مقدمتها جمعية الفرق المثينية فكان اعضاؤها قصيري النظر لا يقدر على المناقشة واقترح المشاريع المهمة ونقد تقوى مجلس الشيوخ فأصبح قوة لا يستهان بها فنزع سلطة القناصل الذين كانوا آراءه ضعفاء لا يستطيعون مخالفة امره والحقيقة ان هذا المجلس

حكم مبدئياً بترو وتعقل ويظهر ذلك جلياً في حروب هنيبال
وبعد ان فتحت آسيا سعى كل عضو فيه ان يكون مشرياً وكان
اقصى أمانى هذا المجلس جمع الثروة بأي طريق كان فلم يهتم
بحكم رومية كما ينبغي فعمت الفوضى واتسع الحرق على الراق
فأصبح العظماء خائفين على ضياع مجدهم هذه الجمهورية العظيمة
فلم يعد احد منهم يدعو الآلهة بان توسع املا كما بل خرعوا
اليها ان تحفظ اجزاءها وكانت تنقسم اهالي مدينة رومية الى
طبقات الاشراف والشيوخ والفرسان والسواد الاعظم
فكانت الطبقتان الاوليان تحسبان للحكومة حساباً وذلك
لان التوازن كان لا يسري مفعولها الا اذا اقرتها جمعيات
الامة فكان هم مجلس الشيوخ ان يرضى هؤلاء الناس بالسعي
فيما يسرهم ليأمن شرهم وكانت الفرسان اكابر التجار الاغنياء
واطلق عليهم لقب الفراسة لان الجيش الروماني القديم كان
يقتضي نظامه ان يركب الاغنياء الجياد الصافيات وفي هذا
الانقلاب الاخير أصبح الفرسان لا يهتمون بالجيش وانزعجت
منهم صفة الفروسية والشهامة ولم يفعلوا شيئاً الا ان مجلس
الشيوخ أناط بهم جمع الضرائب في المديرية فكان ذلك

سببا في آرائهم وملاً جيوبهم ذهباً وفضة واجتهد النبلاء في ارضاء السواد الاعظم باطعامه واججاد الملاهي له ليسكنوا تأثيرته ويجعلوه هادئاً راضياً عن حكومتهم واعتاد قضاة المديریات ان يرسلوا الحبوب والغلل الى رومية لتوزع بصفة هدايا على الالهالي بدون أن يدفعوا أثمانها وأصبح كل انسان قبل ترشيحه قاضياً يعرض العاباً مدهشة في ملعب الخيل لتسلية العامة ولا ريب ان الرومان كانوا شعباً قاسياً جافاً والعابهم في نهاية القسوة والصرابة ومن هذه الالعاب سباق الخيل والسابقة في الجري الا انهم كانوا يميلون الى رؤية الحيوانات الغريبة كالنمر والاسد بان تحضر الى رومية وتضطاد حتى تموت وذلك تسلية لهم ومن الالعاب التي كانوا مغرمين بها محاربة الفرسان السيافة Gladiatorial Fights بعضهم لبعض فكان يقتل الواحد منهم الآخر تسلية للالهالي طمعا في نوال الفخر وكان أغلب هؤلاء السيافة من المسجونين الذين هم أسرى الحروب وذلك بعكس عدد عظيم ريض نفسه على هذه الالعاب ليرتق منها بصفة مهنة يحترفها وكانت الاشراف تنشيء هذه الالعاب وتنفق عليها بسخاء وتصرف الجوائز للفائزين فيها

طمعاني استجلاب رضا العامة .

فكانت هذه الالاعاب وهدايا القمح والمواد الغذائية داعية الى جلب الناس زرافات ووحدانا الى مدينة رومية وبالتدريج اصبحت الاهالي كمية مهمة تعودت على الكسل والراحة وترك الكسب من الوجوه المشروعة وفقدت منها الشهامة والميزة الحربية .

ومن العجب ان رومية لم تزل سيدة الامم وحاكمة الدنيا ؛ فنستنتج مما يبينه ان مجلس الشيوخ احب اعضاؤه ان يجعلوا القوة في ايديهم وسعي الفرسان في ايجاد الثروة لانفسهم بأي طريقة حسنت أو سفلت والعمامة اعتادت الكسل وكان همها ان تأكل هنيئاً وتشرب مريئاً وتعرض أمامها الالاعاب دون أن تعمل عملاً .

تأثير هذه الحالة في ايطاليا — تركت ايطاليا بعد حروب هنيبال في حالة يرثي لها من الفقر والتعاسة لان حقولها اتلفت ومزروعاتها اهلكت ولقد غاملت رومية من انضم الى هذا القائد بالقسوة المتناهية فجعلتهم عبرة لمن اعتبر حتى رحل كثير من الاهالي الى المدن واشترى اشراف رومية اغلب الاراضي

الإيطالية فأصبحت ضياعاً ومستهمرات للارقاء الذين جعلوا
يحرثون الأرض ولم يسمحوا للآهالي الفقراء بأن يجارها نظير
أجر معلوم كما هو الحال في سائر الأمم ولما كان شراء العبيد
في الحروب رخيصاً جداً عمد الإشراف إلى جلب عدد غفير
وفضلو أن يحرقوا أرضهم عوضاً عن المزارعين من الآهالي الذين
كانوا بالطبع يأخذون اجوراً عالية وذلك بعكس الارقاء الذين
كانوا يؤسرون في الحروب ويبيعون بأثمان بخار
الفقراء وهم المزارعون في أمرهم فاضطرب بعضهم أن يدخل العسكرية
فكانت النتيجة أن أصبحت حكومة رومية قذية في عيون
الإيطاليين .

طريقة تكوين وحكم المديرية -- حكم المديرية قضاء
كان يرسلهم مجلس الشيوخ سنوياً والقاعدة العامة أن
القتل بعد انتهاء مدته كان يتحكم عليه أن يحكم أية مديرية
مدة سنة وكانت طريقة تكوين نظام المديرية أن يعين مجلس
الشيوخ لجنة من أعضائه لوضع قانون عام لها شامل سائر
التفصيلات عنها .

وقد علمنا في غير هذا المكان أن رومية في أبان استعمارها

فصلت هذه الاقاليم عن بعضها مخافة أن يحدث أهلها حدثاً عاماً فيكثرون صفو الحكومة الرئيسية بيد أنه لما امتدت خطرهما ولم تعد تخشى بأسها تركتها وشأنها متصلة مع جيرانها وكانت الولايات الرومانية نوعين وهما شعوب حرة وأخرى فتحت بلادها عنوة فضرب عليها خراج وفي أغلب الاحوال كانت تحتفظ بجمعياتها القديمة وهيئة قضائها وطريقة تعيينهم بدون ان تحدث ادنى شائبة من التغيير الحثيث على نظامها فكانت قضاة المديرية تحت سلطة حاكمها الملقب (١) (پريتور)

(١) كان يوجد ثمانية حكام خولت لهم الساطة العليا التي كانت تتنازع بينهم فمنهم القنطلان وقاضيان محليان يدعي كل منهما (پريتور) فكان يفصل احدهما في المنازعات بين الوطنيين والمتمتعين بالحقوق المدنية الرومانية والآخر يقضى في منازعات الاجانب فكانت داره اشبه بحكمة مختلطة للفصل في قضايا الذين لم يتمتعوا بالحقوق الوطنية الرومانية وذلك كما قدمنا كان القانون الروماني لا يسمح للاجنبي بان يتمتع بشراء عقارات ولا يعتبر شخصيته فكان لا يمكنه ان يدافع امامه عن حقوقه والعكس كان القاضي المنوط بالمسائل

وكان اصله كما قدمنا قنصلا وهو لا يرشح الى وظيفته الا بعد تقليده عدة وظائف وفي كل منهما كانت تنتخبه العامة ولكي يثق بصحة انتخابه يقدم العاين مدهشة لهم وينفق

الاجنبية غير مقيد بذلك القانون المدني الجامد فكان يحكم بحسب العرف والظروف مخالفاً لاحكام القانون المدني الروماني وبالتدريج اصبحت احكام متولى القضاء في المسائل المختلطة قانوناً عادلاً مطابقاً لسائر عوائد الامم واطلق عليه اخيراً (قانون الشعوب) وكانت بقية السلطة العليا موزعة على (البرامرة) وهم حكام الاربع مديريات .

غير ان المتفق عليه ان سلطة القناصل كانت العليا في سائر الجمهورية . والقاعدة العامة في تنفيذ المشاريع انه لو اتحد اثنان متساويان في المرتبة ولم يوافق احدهما على اقتراح الآخر كان الشخص المعارض منهما متغلباً على الآخر فتكون النتيجة انه اذا تعارض المانع والمقتضي تقدم المانع . ولقد اصبحت عادة في هذه الجمهورية تعيين موظفين يدعون (پريتور) وآخريين يدعون نواب قناصل او قائمي مقام كل من النوعين ليعملوا عملهم اثناء غيابهم .

عليها مبالغ جسيمة فكان حاكم المديرية يخرج من رومية
 منتقلا بالديون وتجبر داعمينه حاكما يسعى في سلب الاهالى وذلك
 ليسدد ديونه ويجمع لنفسه ثروة تعيش منها في المستقبل ويدخر
 شيئا يرثي به القضاة ليحاربوه فيما اذا اتهم بشيء وأحيل على
 المحاكمة في مدينة رومية فكانت العادة انه اذا قصر هذا
 الحاكم الفرد في واجبه او عمل شيئا يعاقب عليه قانون
 العقوبات ترفع الاهالى شكواها الى مجلس الشيوخ الذي يستدعيه
 للمحاكمة وكان غالبا يبرئه مهما اقرف من عظيم الآثام
 والذنوب وذلك لان هذا الحاكم قد آمن وطأة القضاة وكان
 كل عضو في مجلس الشيوخ يؤمل انه سيكون في يوم ما
 حاكم مديرية فكان الانسب بطبيعة الحال ان يحاربوا بعضهم
 بعضا كيلا يكونوا اشداء على بعض فكانت اهالى المديرية
 في حالة حيف وظلم شديد في عهد هذه الحكومة الفاسدة
 وبهذا النظام الجائر كان حاكم المديرية ذا سلطة عليا في
 اقليمه . ولقد زادها عن حدها لبعده عن مراقبة حكومة
 رومية فكانت سلطته لا تنازع له جيش ينفذ اوامره . وجعلت
 من اختصاصه مسألة اشهار الحرب او السلام بدون استشارة

مجلس الشيوخ (وربما كان ذلك وهو الحقيقة التي لا ريب فيها
بعد اناسافات وصعوبة المواصلات)

فأصبح الحاكم فردا مستبدا يتحكم في رقاب الناس
ومن تجاسر وشكاه كان نصيبه تكبد نفقات سفر الشهود الي
مدينة رومية وبعدها يرجع يخفي حنين الاسباب التي قدمنا
ذكرها واهمها تواطؤ اعضاء مجلس الشيوخ .



اقتراحات غراكوس

الأصلاحيات

أصبحت حالة رومية في طلائع عام ١٣٣ مضطربة إذ اندلع لحيب الفتن واحتدام النفور بين الاشراف والفقراء وصارت الوظائف تباع وتشترى فقام أحد الاشراف المدعو (طيبيريوس سيمپرونيوس غراكوس) حفيد البطال القمهار والاسد المغوار سيبو الكبير والشهور بذلاقة اللسان والتفوق على الاقران في قوة الفصاحة والبيان يطالب باعادة قانون سنة ٣٧٦ المعروف بقانون (ليسينيوس) القاضي الا يملك أي انسان أكثر من خمسمائة فدان وان تقسم أراضي الحكومة على الفقراء الى آخر ما احتواه ذلك القانون على نحو ما علمت في موضعه وكان قصد طيبيريوس ان يلهم شعث أمته ويلغى تلك العادة التي اتبعها رومية في الفتح وهي ان تأخذ مساحة كبيرة من الاراضي الزراعية لبيع بعضها لسد النفقات

الخريبة وترك الباقي يباع بثمان بخس للفقراء غير ان الاغنياء
 ستأثروا اخيرا بشراء الاراضي الزراعية وأدخلوا الأرقاء في
 خدمة حقولهم وحرّم المزارعون أبناء البلاد من خدمة ساداتهم
 فأصبحوا كهيئة مهيمة لأعمالها وزاد فقرها وانضمت ينابيع رزقها
 ففي عام ١٣٤ أفلح (طيبيريوس) في ترشيح نفسه
 (تريبون) عن العامة وما تربع في وظيفته حتى مسم على إعادة
 القانون العقاري ليخفف به المصائب عن طبقة الفقراء الذين
 هم الفاتحون الناشرون اعلام الجمهورية الضاربون في كل مكان
 ومع كل فهم البؤساء المحرومون في بلادهم من استثمار ارضهم
 والتمتع بحريتهم المدنية فكان غزواتهم كانت سببا في جلب العبيد
 والدخلاء لاستعمار البلدان واحلالهم محلهم في خدمة الاشراف
 لذين استأوا من تصرفات (طيبيريوس) فأوحوا الى احد
 (الترابنة العشرة) ان يعارض اقتراحات غراكوس لاث
 لقاعدة الرومانية كانت تقضي على نحو ما علمنا ان تعطيل مفعول
 اي قانون متى عارض فيه أي (تريبون) فقام في
 لاشراف خطيباً قائلاً : « يا قوم الى متى وحتام تفضلون
 خدمة العبيد على مواطنكم الذين يريقون دماءهم الطاهرة

ويصدون مهاجميهم الغالية في الذود عن الوطن ؟ اليس
عجيباً ان تكون الوحوش الضارية في بلادنا كما كئوف ومغاور
ودحال تأوى اليها من القر والحار وهو لا يبال بالبوائل
حراسكم الذين يصدون الاعداء ويقطعون الفيافي والقفار
لا يملكون في بلادهم سوى هبات الطبيعة من شمس وهواء
هل من قلوب رحيمة تعطف على هؤلاء المساكين الذين
تجوبون الشوارع ويطلعون فوق الأزقة زرافات ووحدانا
وأولادهم يكونون ونساءهم يولولان يلتحفون الثرى فكيف
ترجون منهم ان يدافعوا عن بلادهم في الحقيقة لا يملكون
فيها شيئاً !: اليس من الغبن الفاحش ان يدعوا سادة الارض
وهم اذلاء لا يملكون قيد شبر ان هذا لعجب عجاب
فازدادت حماسة الاهالى فاجمعوا رأيهم على عزل التريبون
صنيعة الاشراف المخالف لرأى الجماعة.

ولذا سرى مفعول القانون العقاري مع تشكيل لجنة دائمة
مكونة من ثلاثة رجال لمراقبة تنفيذه كما ينبغي الا ان هذا القانون
صادف عقبات كثيرة فلم يطبق وصار جبراً على ورق وقد ازداد
عداء الاشراف لطبيب ريو فسعوا في قتله واخيرا تأمر عليه حزب

مجلس الشيوخ واتهموه وهو يخطب بأنه يريد الرئاسة فقتلوه
وأشفعوه بثلاثمائة من أنصاره سامعي خطبته بينما كان يرشح
نفسه تريبونا للمرة الثانية !



كايرس غراكوس

ما مر عشر سنوات على قتل شهيد العدالة (طيبيريوس)
حتى اشتد ساعد اخيه (كايوس غراكوس) فقام في سنة
١٢٣ يطالب بتنفيذ القانون العقاري فلما عين (تريبونا)
أبدى اقتراحات ترفع قدر السواد الاعظم وتقلص سطوة
الاشراف ثم انه تمادى فاصبح يصدر القوانين متى كان
الناس راضين عنها بغير التفات الي رغبات القناصل ولا الى
أعضاء مجلس الشيوخ وعزم أن يهدم حكومة المظالم ويبني على
اتقاضها حكومة عادلة في أيدي الجماعة ولقد جذب قلوب
الاهالى اليه لانه أصدر قانوناً يحتم بيع المواد الغذائية لهم
بأثمان معتدلة رخيصة وضم الفرسان الى صفه بأن منحهم

امتيازات في المديرية وجعل انتخاب القضاة في المستقبل من طائفتهم بدل أعضاء مجلس الشيوخ فانفتح باب الخلاف بين الاشراف والفرسان فاصبحوا معادين بعضهم بعضاً .

وما انبثق عام ١١٢ ق . م في مدة انتخابه للمرة الثانية حتى اصدر قانونا يسمح للاهالي امتلاك اراض في المستعمرات الرومانية ثم اقترح أن يجعل اللاتين متمتعين بسائر الحقوق المتمتع بها الرومانيون أنفسهم ومنح سائر الايطاليين الامتيازات اللاتينية فاستاء اهالي رومية من اقتراحاته المجحفة في عرفهم بحقوقهم اذ عز عليهم ان يشاركهم آخرون في امتيازاتهم الخاصة القاضية بشراء الجيوب بثمان نحس وتقديم الالعاب اليهم وعلى ذلك نزعوا ثقتهم من كايوس فلم يرشحوه تريبونا في سنة ١٢١ ق . م فالتزم الغزلة غير ان جرح الاشراف لم يندمل فدبروا له موامرة اذ ارسلوا اليه فصيلة من الجنود حاصرتة في كل مكان حتى قتل ولقد اصبحت حكومة رومية مضطربة بعد موت هذا المصلح العظيم وصارت قوانينها غير محترمة معرضة للمسح والتبديل وكثرت المشاحنات الدموية وتخاذل الناس ثم قبر القانون العقارى ودفنت نهضة الاهالي .

عصر الثورة

﴿ حرب جو غرطا (١) ﴾

بعد أن دمرت جمهورية قرطاجنة سنة ١٤٦ أصبحت
نوميديا أكبر امة في افريقيا ولم يتعرض لها الرومان وذلك
لان ملكها (ميسبسا بن مسينيسا) صنيعة الروم كان
مواليا لرومية وقد توفي في سنة ١١٨ ق . م عن ولدين وثالث
تبناه وكان يدعى جو غرطا وهو ابن اخيه اشتهر بسمو مكانته
العلمية وواسع ادبه وشجاعته وجماله مع رقة الحاشية ومكارم
الاخلاق .

وقد أظهر بسالة فائقة في مساعدة الرومانين ضد اسبانيا
فاحبوه الا ان (جو غرطا) ما كاد يتوفى صاحب نوميديا حتى
أراد ان يستأثر بالحكم بمفرده ولذا قتل احد مزاحميه فاراد
الولد الثاني ان يثار لآخيه وينفرد بالملك غير انه لما آانس من

نفسه الضعف التجأ الى رومية فأرشى جو غرطا مجلس الشيوخ
الذي قضى بان تقسم نو ميديا بينه وبين ابن عمه الا ان جو غرطا
حاصر شريكه في مدينة (سيرتا) وقتله هو ورجاله ثم اغتصب
بلاد سنة ١١٢ ق . م

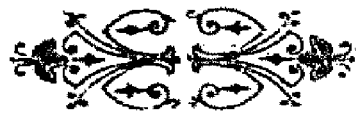
فأستاء الشعب الروماني من اعماله الوحشية ومخالفته
للأوامر فاستدعاه ليحاكم فذهب جو غرطا بجأش قوي معتمدا
على أمواله وذمم اعيان رومية الخربة واصطحب معه احد
امراء بيت مسينييسا المطالبين بعرش نو ميديا ودبر له المكائد
حتى قتله فاستشاط الرومان غيظاً من قبحته وأشهروا الحرب
عليه واسرود ان يبرح المدينة في الحال وقيل انه لما برحها قال:
ايتها المدينة المستبدة المشيدة على الرشوة كل شيء يبيع فابشري
بخرابك فانك ستبيعين نفسك لو وجد مشرك !!

فأرسلت رومية في سنة ١١٠ جيشاً جراراً لتأديب هذا
الملك السفاك غير ان (جو غرطا) أرشى قواده فجنبوا عن
القتال وأخيرا الحق بهم الهزيمة والانكسار واهين شرف
الجمهورية الرومانية التي ارتاعت من قهر جيوشها فأرسلت
جيشاً كشيافا في سنة ١٠٨ تحت قيادة (كنتوس متيلوس)

وكان نزيها لا تأخذ في الحق لومة لائم يضدي نفسه في رفعة وطنه
 فقهر (جوغرطا) في عدة وقائع وكاد ينتصر عليه لو لا أن أحد
 ضباطه المدعو (ماريوس) نزع منه القيادة بسعيه لدى الرومانيين
 حتى عين أيضا قنصلا وقد انتخب ست مرات ومنشأ ذلك
 أن متيلوس احتقر ماريوس لأن الأخير كان من أسرة
 ضيعة وبالرغم من ذلك فإنه كان محبوبا عند العامة لاختلاطه
 بهم ولذا أثر عليهم لما رحل إلى رومية فنال هذا المنصب الخطير
 فما كان من ماريوس إلا أن لبس جلد النمر وهجم هجمة
 عنيفة على الجيش النوميدي فألحق به الخسائر الجمة ثم عاود
 الكرة على ملك (موريطانيا) وكان جوغرطا قد تزوج ابنته
 فخاف على ضياع ملكه وأرسل إليه (ماريوس) منسوبة
 (سيللا) صاحب الدهاء العجيب فأقنعه بضرورة طلب الصلح
 لأن أعداء الرومان أشداء وفي مصافاته لهم ضمانا لصيانة ملكه
 وابنائهم واشترط عليه أن يسلم إليه (جوغرطا) فخار الملك
 في أمره وتردد كثيرا وأخيرا عمل حيلة استدعى بها ملك
 نوميديا ثم سلمه إلى (سيللا) مكبلا بالأغلال فتاد (ماريوس)
 عجبا إذ أخذ (جوغرطا) أسيرا إلى رومية فقرر مجلس الشيوخ

ايداعه في غيابة السجن حتى مات - جوعاً سنة ١٠٤ (١)
وبذلك عظم شأن القائد (ماريوس) اذ أصبح رئيس العامة
وقائد الجيوش .

(١) في هذه السنة حصل هيجان في صقلية ومنشأ
ذلك ان الرومان المقيمين في صقلية اكثروا من العبيد الذين
عاثوا فيها فساداً فلم يقو الحكم على رد شكيمتهم مراعاة
لخاطر ساداتهم ذوي النفوذ بيد أن العبيد لما وجدوا أنفسهم
يعاملون بقسوة متناهية عزموا على أن يحرروا أنفسهم من ذلك
الأسرفكونوا من مجموعهم جيشاً قاوم ثلاثاً من القواد
الرومايين وأخيراً أرسلت رومية قوة حربية أخضعتهم الى
حظيرة طاعتها فعاد السكون الى ربوع صقلية سنة ٩٩ ق . م



حرب أمم التيوطون

والسامبر

كانت أمم التيوطون والسامبر تسكن شمال أوربا وأصلها من جرمانيا وهي متوحشوهذه القارة الذين يطلق عليهم البرابرة وقد أجمع أمرهم على اكتساح الدولة الرومانية فذهبوا متضافرين وكان يبلغ عددهم ٣٠٠.٠٠٠ مقاتل فهاجموا على بلاد الغالة (١) الواقعة غرب جبال الالب وكدروا صفوف الامم الايطالية اذ تهددوها بغزو بلادها ففي سنة ١٠٤ ق. م أرسلت رومية جيوشها لمحاربة هذه القبائل الا أن الجنود الرومانية قد تفرقت شذرا مذبذب تسبب تخاذل قوادها وتقاطع ضباطها فضلا عن جهلهم المطبق بالشؤون الحربية فخصدت هذه الامم المتوحشة ١٢٠.٠٠٠ مقاتل وأودتهم كأس الردى فلم يكن أمام هذه

(١) الغالة هي تلك الاراضي الواقعة على ضفتي نهر

الرون التي احتلها الجنود الرومية وجعلت مديرية.

القبائل سوى دخول إيطاليا بسلام غير أنها قصدت بلاد
الاسبان من حظ الرومان فارتاعت رومية وزلزلت قواعدها
واندكت دعائمها من نيران القلق اذ خافت أن تعيده هذه الامم
عهد الغول الذين أضرموا فيها اللهب فأصبحت قاعاً صفصفاً
تدروود الرياح فأرسلت القائد (ماريوس) لرد غارتهم وعينته
قنصلان ست مرات وان كان ذلك مخالفاً للنواميس الرومانية
والعادات المرعية غير انه يدلنا على كثرة تخوف رومية من
هذه الاقوام ومقدار عظمة ماريوس لدى شعبة فزحف
(ماريوس) وعسكر بالقرب من نهر (الرون) حيث يقيم
التيوتون الا أن توغلوا في ايطاليا فتعقبهم ماريوس بعسسته
ثم برواده وجيوشه وأخيراً دارت رحى الحرب بينه وبينهم
على مقربة من مدينة (اكس) سنة ١٠٢ ق . م فانتصر عليهم
وقتل منهم زهاء المائة الف بينما القنصل الآخر (كايوس
كاتولوس) كان قد هزم عند نهر (الاديج)

وما وافى عام ١٠١ حتى اجتمع السامبر عند نهر (الپو)
وهددوا جيوش ماريوس فبعد التي واللتيا والمخبرات بين
الطرفين انتصر الجيش الروماني انتصاراً باهراً في واقعة

(فرسالى) الشهيرة وقتل منهم ٩٠.٠٠٠ وأسر ٦٠.٠٠٠
 ومقاتل فألبس هذا الظفر المين (ماريوس) تيجان الهيبة
 والوقار فأنعّم عليه الشعب الروماني بلقب المؤسس الثالث
 لمدينة رومية لا عتبار له أياه مثل (روميولوس) المؤسس الأول
 وكاميل وقد تقدم الكلام عليهما فرجع (ماريوس) إلى رومية
 عالي الرأس مهيباً عند الأشراف محبوباً لدى الجنود مسموع
 الكرامة عند الأهالي وسيرد عليك في موضعه ما وصل إليه
 أسر ماريوس وحزبه آراء مجلس الشيوخ .



الحرب الأهلية الإيطالية

تمهيد — (كان الايطاليون كما ألمعنا الى ذلك في محله
 حلفاء جمهورية رومية يدفعون لها جزية سنوية ويقدمون لها
 الأبناء لتجنيدهم عند مسيس الحاجة ولقد كان هؤلاء الايطاليون
 شديدي البطش في المعامع حسني السير والسريرة نحو الرومان
 ولطالما طلبوا ان يمنحوا سائر الحقوق المدنية والسياسية

المتمتع بها سكان رومية وهي ان تكون شخصيتهم معتبرة لدى القانون ويخول لهم حق الاقتراع والانتخاب والاندماج في سلك رجال الحكومة فكان الرومان يعدون ثم يسوفون بينما كان اللاطين والسابين يمرحون في رياض الامتيازات على سرر مرفوعة وآراء مسموعة فقامت الجموع الايطالية تستعطف وتطلب المساواة فلم يكن من رومية الا ان قتلت هؤلاء القواد والقائمين بنشر دعوة الانصاف وتنادت في غيرها اذا امرت اللاطين بمغادرة رومية نفسها لأن بعض الاشراف اشتبه في حسن نيتهم وأوحى الى مجلس الشيوخ بان هؤلاء النزلاء ساعدوا جمعيات العامة ضد الاشراف في الانتخابات فاستاء اللاطين من هذه الاجراءات التي لا مسوغ معقول لها لأن منهم من اتخذ رومية مقاما دائما فلما تفاقم الخطب وظاير اللهب اقترح الترييون (مرقس ليقيوس دراسنوس) سنه ٩١ ق . م ان تعطى سائر الامتيازات المدنية الى سائر الايطاليين وأن يساووا بسكان رومية نفسها وحاول ان يكون واسطةصالحة بين حزبي الشيوخ والفرسان وذلك بأن اقترح تشكيل هيئة تشريعية مكونة من ٦٠٠ عضو نصفها

من الشيوخ والآخرون من الفرسان وان تنتخب القضاة من
 بين اعضاء هذه الهيئة لمحكمة القضاة والولاية فكان لاقتراح
 دراسوس دوى عظيم عند الايطاليين وارتفعت لذكر اهدوائر
 النبلاء واستاء من اقتراحه الاول العامة التي اعتبرت ان
 ذلك ضربة قاضية على حقوقها وامتيازاتها اذ عز عليها ان
 يساوي الدخلاء بها في مسائل توزيع الغلال وتقديم
 الالعب المجانية لهم وقد ترصد له بعضهم في يوم الاقتراع
 على تنفيذ مفعول قوانينه فطعن طعنة نجلاء ومما يؤثر عنه
 انه قال (متى يكون لرومية رجل آخر مثلى) ولما بلغ نعيه الى
 الايطاليين قاموا على قلب رجل واحد بثورة عظيمة قصد
 ارغام رومية على منحهم تلك الحقوق الشرعية وتهديدوها بان
 يجعلوا مدينة (كور فينيوم) عاصمة جديدة بدل رومية
 الظالمة فنجح الايطاليون مبدئياً اذ ترأس (الساميت)
 جيوشهم . وما انبثق عام ٩٠ ق . م حتى انقسمت ايطاليا
 الى حزبين متضادين حاربا بعضهما بعضاً حرباً عواناً فرأت
 رومية من مصلحتها ان تخمد نيران هذه الفتنة الداخلية
 فمنحت سائر الامتيازات الرومانية لعموم الايطاليين الذين لم

ينضموا الى الجيش المحارب ولم يدعوا الى الثورة والتجريض
ثم منحها ايضاً لمن يلقي سلاحه في ظرف ستين يوماً فكان
ذلك داعياً الى انسحاب طائفة من صفوف القتال وانضمامها
الى جيش رومانية سنة ٨٩ وكان القائد عليه أحد النبلاء المدعو
(لوسيسيوس كورنيليوس سيللا) الذي هزم السامنيين شر
هزيمة وفرق جموعهم طرائق قحدا ولم تمض هذه السنة حتى
تمتعت عموم الطوائف الايطالية بالحقوق المدنية ماعدا قبيلتي
(السامنيين واللوقانيان) اللتين خالفتا الجماعة ولا يخفى ان
نار هذه الحرب الاهلية ضد حلفاء رومانية خمدت تدريجياً لان
رومانية تيقنت الاسبيل الى هئائها وأسعاد حالتها إلا بمساواة حلفائها
بأبنائها فكانت تمنح هذه الامتيازات دائماً الى اناس جدد
كانوا يستدعون الى المدينة يداً لنا لانسى ان نتيجة هذه
الحرب الشعواء كانت دماراً لثروة ايطاليا وخراباً لمزارعها
وخلو الاراضي من مزارعها لانضمامهم الى صفوف القتال
والضرب والنزال الا ان هذه الحرب كانت داعية الى زيادة
نفوذ الجيش في رومانية لان عسكره الجدد كانوا من الذين
تعودوا حياة القرى فلم يكونوا مثل عامة رومانية الذين ركنوا

الى الخمول وحياة الترف والملاهي ولذا أصبح لقواد الجيش
 البروماني الرأي الأعلى في الحكومة التي لم تقو على منازعتهم
 وعجزت القضاة عن رد شكيمتهم (وسيرد في محله ان رومية
 ظلت نصف قرن وهي في حرب اهلية من جراء تداعى
 الحزب العسكرى في أعمالها مما أدى الى تغيير شكلها)



الايام الاخيرة للجمهورية

﴿العداوة بين ماريوس وسيلا﴾

كان (متريدات) ملك پونتس شديد البطش شجاعا قوي الارادة حكم آسيا الصغرى وبلاد الرومالي الشرقي (تراسه) واليونان ومقدونية ولقد نازع الرومان في الاستيلاء على آسيا الصغرى وجزائرها ثم انه قتل القنصل الروماني (مانيوس أقيليوس) فاستاءت رومية من قبحته هذه وقرر مجلس شيوخها محاربته ليشوب الي رشده ويرعوى عن غيه وانتخب ٨٨ ق . م (سيلا) قائدا على هذه التجريدة العسكرية فلما بلغت هذه الاخبار الي مسامع (ماريوس) زجر ورغى وازبد لان امانيه كلها بالرغم من كبر سنه كانت متجهة الي غزو آسيا طمعا في خيراتها العظيمة وكنوزها الثمينة ولذا دبر المكائد لسيلا وسعى سعيا متواصلا لدى التريون (سالييسوس ريفوس) الذي أصدر قانونا ضد قرار مجلس الشيوخ وجعل

الشعب يصادق على تعيين (كايوس ماريوس) والغاء قرار تعيين (لوسيوس كورنيليوس سيللا) . ففرح ماريوس جذلا ثم أن المجلس أرسل يعلم سيللا بعزله لأنه كان في ذلك الوقت متغيباً عن رومية يقاتل أهل مدينة (نولا) فلم يكثر (سيللا) بهذه الأوامر وقتل مبعوثي المجلس فانهزم ماريوس هذه الفرصة السانحة وأوقع القتل والتعذيب في أنصار سيللا وجعلهم في حالة يرثي لها من التنكيل ومصادرة الأموال . ولما علم سيللا بهذه الأنباء المحزنة زحف بجيشه إلى رومية وأوقع الهزيمة والفشل في صفوف أعدائه وأذاقهم ثوب الذل والبلاء جزاء ما كانوا يصنعون فاستولى الرعب على أعضاء مجلس الشيوخ الذين اجتمعوا في قصر (الكايتول) وقرروا بناء على تعليمات (سيللا) نفي ماريوس هو وجميع رؤساء حزبه !

ولقد انكمش الناس في زواياهم فلم يجسر أحدهم أن يعارض (سيللا) فيما أراد ثم انه أوعز إلى نفر باغتيال حياة عدوه الألد (ماريوس) الذي فر هارباً ولقد صادف في سبيله عقبات كثيرة فضلا عن محاولة أنصار سيللا قتله كلما حل بارض و أخيراً وصل إلى إفريقيا بالقرب من أطلال قرطاجنة فحاول

الوالي الروماني القبض عليه بان ارسل اليه بعض نفر فقال لهم ماريوس : (اذهبوا وقولوا له انا نحن وجدنا كايوس ماريوس بين آثار قرطاجنة المدرسة) ومعنى جملته هذه ان الدهر قلب يحط بعد العز والجاه امّا ورجالا ! !

ولما علم ماريوس برحيل عموده الالد سيلا عن رومية وتوجهه لمحاربة (متريدات) وتنصيب صديقه (سينا) الذي هو قراطي قنصلا قصدها سنة ٨٦ ق . م وقتل هو وسينا انصار سيلا وكل من توسم فيه العداء حتى جعل الطرقات انهارا ولم يخشيا الله في الضعفاء بل انتزعت منهما الرحمة واصبح ماريوس محبا لسفك الدماء لاي مناسبة فهربت الاعيان واستغاث الناس بانقائد سيلا الا ان الله اذاق هذا الشيخ الظالم كأس المنية بعد بضعة شهور وأراح الارض من مفاسده بعد ان انتخب سبع مرات وبلغ من العمر سبعين عاما .

واعلم ان الملك (متريدات) امر شعبه بقتل جميع الرومانيين ومن يلوذ بهم وانبنى على هذا قتل ١٥٠.٠٠٠ روماني ثم انه اتحد مع اليونان على محاربة الرومان وتعكير صفوهم كلما انتهزوا الى ذلك سبيلا فذهب سيلا سنة ٨٧ ق . م الى (اثينا)

لتأديب أهلها على انضمامهم الى (متريدات) واتصادف ان جيش هذا الملك كان معسكراً في (بيرية) وهي ميناء اثينا فالتحتم الجيشان وصارت الحرب بينهما سجالاً واخيراً انتصر القائد سيلا انتصاراً مبيناً وفر جيش متريدات الا ان سيلا تعقبه وكسا الارض من دماء جنوده شراباً ثم انه عذب اهل (اثينا) وحرّمهم من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية ولما علم متريدات بخيطة مساعيه وفشل قواده وهلاك جيشه تفاوض مع الامير (سيلا) سنة ٨٤ ق . م بواسطة مندوبه القائد (أرخيوس) وذلك لتضع الحرب أوزارها . ولا يخفى ان سيلا قد حاصر القائد (فامبيريا) الذي كان عينته رومية بدله لقتال متريدات بالقرب من (فرغامة) وأبت جنود (فامبيريا) قتال الأمير (سيلا) ولذا طعن نفسه بسيفه لما حبطت مساعيه وانضم أغلب جيشه الى حامية القائد المغوار الذي لا يشق له غبار (سيلا) ولذا عرض على متريدات شروطاً شديدة لا يرام معاهدة الصلح ومقتضاها ان يلغى الملك متريدات قوانينه وأوامره العالية الخاضعة على اشهار العداء ضد الرومان وان يقتل الزعماء الذين استعملوا الوسائل الممهدة

أو المجهزة لقتل الإيطاليين وإن يدفع غرامة حرية قدرها ٢٠.٠٠٠ ورنه وتقدر الآن بمبلغ ٤٨٨.٠٠٠ جنيه وإن يسلم ٧٠ سفينة حرية إلى القائد الروماني وإن يرضى حلفاء الرومان وهم أهالي رودس وبلاد (إيشيا) و (ماجنيزيا) باعطائهم تعويضات وبعد أخذ ورد خضع متريدات مرغما إلى شروط القائد سيلا خوفا على ضياع ملكه ونظرا لضعف قواه آزاء هذا الجيش الباسل ومما يؤثر عن سيلا أن متريدات سأله ماذا سيرك له من ممالك فأجابته (أترك لك اليد اليمنى التي أمضت على الأمر القاضي بوجوب قتل المائة وخمسين ألف روماني) ثم أن سيلا عاد إلى إيطاليا ومعه ٤٠.٠٠٠ مقاتل (١) فلما وطئها ارتاع أنصار ماريوس من هذا الخبر للدهش فقاموا قومة واحدة رجالا وشبانا شيوخا وعبدانا لمحاربه غير أن القائدين الشهيرين (قراسوس) و (پومپي) انضموا إلى صف القائد سيلا الذي تم له الظفر على أعدائه ففرقهم طرائق قددا ولم يجمع لهم عددا وتصادف أن القائد

(١) من أراد التوسع فليراجع تاريخ الجمهورية الرومانية

تأليف الاستاذ (مومسين) صحائف ٢٧٨ — ٢٨٧

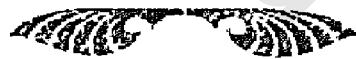
(پونتيوس تليزينوس) السامنيتي كان عابراً لمساعدة مدينة (برينستي) فحصل سوء تفاهم بينه وبين (سيلا) لانه ظن أن الاخير قادم لقتاله ولذا انتشبت الحرب بين الجيشين ولقد انضم أعداء سيلا وهم شيعة (ماريوس) الى السامنييت وأخير انتصر سيلا بعد أن بلغت روحه التراقي وكاد الا يظفر ويقع في فخاخ أعدائه ثم أنه دخل رومية منصوراً فأعاد اليها عهد (ماريوس) وما أشبهه اليوم بالامس اذ قتل أعداءه ومن يلوذ بهم وخضب الطرقات والمنعطفات بدمائهم ولم تأخذه فيهم رأفة (١) ثم أن رجاله خرجوا عن حد المعقول إذ أصبحت الارواح لا قيمة لها ترهق كالأ نعام لاقل مناسبة وأذاق بعض أعضاء مجلس الشيوخ كأس الحمام وهم الذين كانوا من أنصار ماريوس وامن بقتل واستباحة أموال ٤٧٠٠ من الاعيان لرجالهم ولقد اختلط الحابل بالنابل وأصبحت رومية ميدان قتال ومذبحة للابرياء وحكم سيفه في رقاب السامنييت بدعوي أنهم أعداء رومية

(١) يؤخذ من ذلك أن الوازع الديني اكبر كل شيء

فلو كان هذا القائد ذا دين سماوي لخاف الله ربه وانطبعت على صحائف قلبه الشفقة والحنان ! !

لأنهم أشهروا الحرب عليها وكادوا يهزمونه لولا أن تدورك
 بالنصر فهاجر أكثرهم إيطاليا . وأجبر الشعب على إقامته
 بوظيفته (ديكتاتور) مدة حياته بمعنى أنه يكون حاكما مطلقا
 التصرف يفعل ما يريد ثم أنه أرسل (يوميني) إلى جزيرة
 صقلية وبلاد أفريقيا لاستئصال شأفة أنصار ماريوس على رأس
 جيش جرار إلا أن (سورتوريوس) أحد أعوان تماريوس
 المقيم بإسبانيا رفض الخضوع إلى سيلا وكان قد عين واليا
 عليها سنة ٨٢ ق . م وانتصر في (موريطانيا) على جنود
 سيلا وفتح إسبانيا لأنصار ماريوس ولم يخضع هذا الرجل إلا
 بعد موت سيلا بست سنوات حيث قتل غدرا وشم النصر
 على أيدي البطل الشهير (يوميني) ولما ان طهر سيلا الجمهورية
 ومستعمراتها من أعدائه واقتلع جذورهم عن آخرها وأصبحت
 رجال الحكومة من أوليائه وسبح الجيش بحمده لأنه أغدق
 على أفراده أموال أعدائه وأقطعهم أملاكهم اعتزل العمل
 محتقرا منصبه والتزم منزله تارك السياسة لأربابها مشغولا
 بالمطالعة بعد أن زاد في نفوذ مجلس الشيوخ وقلص سطوة
 التريون ورد (للسناطو) حقه القديم في حاكمية الولاية

وأصدر قانوناً مقتضاه ألا ينصب قنصل إلا بعد أن يكون قد تقلب في الوظائف من أحقرها شيئاً إلى أرقاها مركزاً وجرّد الأمة من حقوقها وحول الجمهورية من ديموقراطية إلى حكومة (أرستوقراطية) . وعين بدله قنصلان بيد أن النية عاجلته سنة ٧٨ ق . هـ واحتفل بدفنة احتفالاً شائقاً لم تشهده رومية منذ نشأتها وكتب على قبره (هذا قبر سيلا أوفى الأوفياء إلى أصدقائه وألد الأعداء لأضاده) وفي روايه أخرى (لم يصنع أحد مطلقاً لأحبابه قدر ما صنع ولم ينتقم أحد من أعدائه قدر ما انتقم) (١)



(١) (يلاحظ أننا هنا حذفنا بعضاً من الحوادث مراعاة لبرنامج نظارة المعارف العمومية ومن أراد التوسع فليراجع مختصر الجمهورية الرومانية تأليف الاستاذين (بريان) وهندي صحايف ٢٨٨ — ٣١٤ وتاريخ الرومان تأليف الدكتور (جولد سميث) صحايف ١١٣ — ١٢٣)

القواد المشهورون

(الفترة من حين موت سيلا الى دخول قيصر مدينة رومية)

وجد في هذه الفترة خمسة رجال يلزمنا ان نضعهم نصب أعيننا وهم (يومبي) و (مرقص طليوس شيشرون) و جولياس قيصر و (مرقص قراسوس) (ولوسيوس سرغيوس كاتلينا) واولهم في الحوادث التاريخية يومبي وكان احد ضباط الامير (سيلا) وصاحب الشهرة الذائعة في النصر على بلاد الاسبان والحقيقة انه لم يكن في رومية أكفأ من القائد يومبي بعد وفاة سيلا ولقد عين قنصلا في سنة ٧٠ ق . م باتحاده مع القنصل الآخر (مرقص قراسوس)

ولما بلغت الاخبار الى متريدات بوفاة القائد سيلا الذي كان قد أذله خرج عن حدوده نحو الرومان وجذب قلوب مجاوريه من الولايات الاسيوية الرومانية بقصد الاتحاد على تقليص ظل الرومان وفك الأسروير العبودية عن بلادهم

التي هدها الرومان تحت قيادة الامير سيلا فأرسلت رومية جيشاً لمعاوية الملك متريدات تحت قيادة (لوكالوس) الذي لم يجعل لهذا الملك قائمة فيهم على وجهه الى بلاد ارمينيا ملتجأ الى ملكها (تگران) صهره فلما علم القائد الروماني بذلك أرسل الى الملك تگران يأمره بشد وثاق متريدات وارساله مكبلا في الحديد بيد أن هذا الملك امتنع ولم يكثر بالقائد الروماني ولذا هجمت الجيوش الرومانية على بلاده فقتلت عددا عظيما من جنوده .

ولا يخفى ان يومسبي منذ تعيينه قنصلا كان منتظراً بفارغ الصبر ارساله الى البلاد الشرقية لان القيادة كانت مدتها ثلاث سنوات واصحابها سلطة عليا على شواطئ البحر الابيض المتوسط وحدود البلاد الواقعة عليه الى مسافة ٥٠ ميلا داخلها ولقد أرسل يومسبي مبدئياً الى (ايليريا) ليستأصل شأفة قرصانها ثم بعدئذ اعطيت له قيادة الجيش المحارب ضد متريدات فوصل الديار الشرقية سنة ٦٥ ق . م وقد أبرم الصلح بينه وبين الملك (تگران) بشرط ان يكون الاول حليف الرومان وان يدفع غرامة حرية قدرها ٦٠٠٠ وزنة من

الذهب وتقدر الآن بمبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠ رطل جنيه وان يدفع
 ثغر ان أيضا لكل عسكري روماني ١٨٠ جنيه ويتنازل عن
 عن سائر مستعمراته في سوريا وفتيقية وسيليسيا وغيرها
 من البلاد الواسعة وان يقتصر ملكه على بلاد ارمينيا
 والحقيقة التي لا ريب فيها ان يومبي قضى على مجد واستقلال
 مملكتي پونتس وارمينيا ثم ان متريدات فر الى جبال
 القفقاس وبعد اشياء يطول شرحها اذ خابت مساعيه في تجديد
 جيش يغزو به رومية سم نفسه هو ونساءه . ولما أمن يومبي
 طريقه سار بجيوشه المنصورة في صيف عام ٦٤ الى بلاد سوريا
 ليرتب شؤونها ويوطد نفوذ الرومان فيها وكانت هذه البلاد
 في ايدي العرب واليهود لان للأول النفوذ الاكبر على شمال
 سوريا وجزيرة العرب الى حدود نهر الفرات اما اليهود
 فكانوا في جنوبها ويمتد نفوذهم حتى الحدود المصرية فافتح
 يومبي بلاد الشام وهي سوريا وفلسطين وأورشليم التي هب
 خزانها وبالجملة فان ديار الشرق الادنى اصبحت كلها في ايدي
 الرومان ما عدا ديار مصر وجزيرة قبرص التي كانت تحت
 سيادتها

الحكومة الثلاثية الاولى

﴿ سنة ٦٠ ق . م ﴾

ما وافى عام ٦٠ ق . م حتى رجع القائد (يومبي) من ديار الشرق الى مدينة رومية وكان قد وعد جنوده بالمكافآت والعطايا على ما بذلوه من الجهاد حتى فازوا على اعدائهم الا ان مجلس الشيوخ رفض المصادقة على رغائب يومبي فلكي ينفذ وعده اتحد مع جولياس قيصر ومرقص قراسوس وكان مضمون اتحادهم ان توزع السلطة بين هؤلاء الثلاثة وان يساعدوا بعضهم بعضا في تنفيذ مآربهم ومصادرة مجلس الشيوخ في قراراته المغايرة لآرائهم ويدعى اتفاقهم هذا بالاتحاد الثلاثي ولا يخفى ان قراسوس كان عديم الاهمية الا انه كان مثيرا ساعدهما بماله واتحد ثورة السيافة منذ عشر سنوات وابتد كرها هنا بهذه المناسبة وتلك الفرصة السانحة فمنشأ هذه الثورة ان المذعو (سبارتا كوس) كان

زعيم منسرى لصوص أسرد الرومان الى رئيس مدرسة السيف
 وهم فئة الأسرى الذين كانوا يعلمون كيفية الضرب بالسيوف
 والمصارعة وكانوا عادة يظهرن في الاعياد العمومية ويهدرون
 دماء بعضهم بعضاً ترويحاً لنفوس زمر المتفرجين فاستاء —
 سيارتا كوس — من هذه الاعمال الوحشية وتيقن انه لا محالة
 مقتول اوقاتل والاخير بالطبع ستدور عليه رحى القتل اذا
 استظهر عليه يوما من هو أقوى منه ولذا فرّ من المدرسة
 هو وعدد عظيم وكونوا جيشاً جراراً من العبيد وحاربوا
 الرومان طويلاً وخربوا ايطاليا فلم يوقفهم عند حد ثم سوى
 مرقص قراسوس الذي قتل زعيمهم سنة ٧١ ق . م واجهز
 على بقية اتباع (يومبي) على اثر عودته من اخضاع بلاد
 الاسبان . ولقد يذهل القاريء كيف ان قيصر ابن اخ
 ماريوس يتفق مع يومبي أحد انصار القائد (سيللا) الا ان
 الحقيقة ان كلا من هؤلاء القواد كان ينظر الى مصلحته ساعياً
 في السر الى حتف اخيه والاستئثار بالحكم بمفرده بدليل
 ان قيصر تمكن في سنة ٥٩ من تنصيبه قنصلاً ولم يبال بأحد
 وامر بنفاذ مفعول القانون العقارى وقسم أراضي (كامينا)

على الفقراء والمعوزين وأرغم الشعب على التصديق على
 شروطات صديقه (يومبي) وأحيا قوانين عمه ماريوس
 وعاقب كل من اتبع قوانين (سيلا) ولما انتهت المدة القانونية
 لوظيفة القنصلية عين عاملا على بلاد (الغالة السيزالية)
 لمدة خمس سنوات وذلك لأن نفسه طمحت ان يكون قائد
 البلاد الغربية وأن تعطى له نفس الامتيازات في تلك البلاد
 كما كان للقائد يومبي وهو بالديار الشرقية وأخيرا اتفق القواد
 الثلاثة فيما بينهم على أن يكون قيصر قائد جيوش الغالة لمدة
 خمس سنوات كما قدمنا وان يعين (يومبي) وقراسوس قناصل
 وما تبوأ الاول وظيفة القنصلية حتى بذل العطايا لجنوده ونفذ
 وعده الاول لهم .

واعلم ان مرقص طليوس شيشرون كان أخطب خطباء
 لرومان عالما بالاصول الفقهية ولقد انتخب قنصلا سنة ٦٣
 ق . م ولم تدخل عليه مؤامرة كاتلينا الذي كان ميالا لاراقة
 لدماء وتعذيب الناس وايجاد الفتن فضلا عن فساد أخلاقه
 وامتقاع وجهه وسبب مؤامرة (لوسيوس سرغيوس كاتلينا)
 الذي هو من أصدقاء سيلا ومن النبلاء الذين ركبهم الديون

انه أقنع زمرة من أصاغر النبلاء الذين ضاقت بهم الدنيا بأن
عسره سيكون سرمديا ما دام شكل الحكومة لم يتغير ثم
انه اتفق مع جمعية العامة على انتخابه قنصلا واقد عين في
هذه الوظيفة سنة ٦٤ ق . م قبل حضور يوميسى في بلاد
الشرق وانتخب الخطيب المفود شيشرون قنصلا في السنة
التالية فأذاع بأن كاتلينا قاصد قتله واحراق المدينة ونهب ما
تستطيع إليه يده هو وحزبه ثم أن شيشرون بذل جهده حتى
سيجر أعضاء مجلس الشيوخ وجعلهم يعتقدون بأن كاتلينا
عدو عمومي إلا أنهم لم يجاسروا على سجنه ولما علم كاتلينا بذلك
تشجع وغادر رومية وجمع جيشا جرارا وفي تلك الاثناء تهنز
شيشرون غيابه فأمر بقتل جميع أنصاره وفي السنة التالية أرسل
المجلس جيشا لمعاينة كاتلينا الذي قتل في هذه المناوشة وتفرقت
جنوده شذروا فلما اقيمت هذه الحكومة الثلاثية قرر
رؤساؤها أن شيشرون بسبب اعدامه أنصار كاتلينا بدون
محاكمة الا أنهم أفرجوا عنه سنة ٥٨ ق . م

وعندئذ أغارت قبيلة (الهلثيت) على بلاد الغالة ويقال
إن أهالي الهلثيت وهم قبائل سنويسرا أرسلوا الى قيصر يعلمونه

بأنهم لا يريدون محاربة الرومان وإنما قصدهم اجتياز الولاية
الرومية ليبحثوا عن أرض خصبة لأن ديارهم أصبحت قاحلة
فرفض قيصر طلبهم ولما أصبروا على ذلك حاربهم وقتل منهم
أكثر من ٢٠٠.٠٠٠ نسمة ورد الباقي إلى أوطانهم ليكونوا
بمشابة حراس على حدود الولايات الرومانية من اعتداءات
الجرمانيين ولم يستقر قيصر هنيئة حتى تعدى أحد ملوك
جرمانيا على الغالة فقهره قيصر وأجأه إلى الفرار وراء نهر
(الرين) وفي سنة ٥٧ ق. م قامت القبائل البلجيكية بثورة
عظيمة كانت القاضية على صيرورتها مستعمرة رومانية وبعد
أن استتب الأمن في ربوعها وقلم أظافر الفتن قصد فتح
الجزائر البريطانية إلا أن الدهر خانها حيث ناكسته الانواء
وأغرقت سفنه الأمواج وفي ثاني مرة دخل نهر (التاميز)
واخذ معه بعض أسرى تلك الجزيرة الوحشية التي كان يعتبرها
القدماء أنها آخر حدود الدنيا ثم أنه عامل أهل الغالة بالحسنى
وهذبهم بالآداب وجملهم بالفضائل ونظم منهم جيشاً جراراً
ومنح لاغنيائهم درجات الشرف وسائر الحقوق الرومانية كما
استطاع إلى ذلك سبيلاً ولقد كتب رسالة عن بلاد الغالة

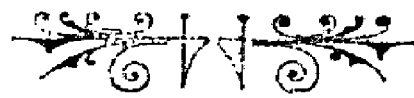
وحقيقة ان التاريخ يعيد نفسه اذ اختبر القائد عمر وبن العاص بلاد مصر وعرف دخائنها كما فعل قيصر في الغالة .

وفي سنة ٥٦ ق . م اجتمع هؤلاء القواد الثلاثة لثاني مرة في (لوقا) وقرروا بان تمتد قيادة قيصر على الغالة خمس سنوات اخرى مع ابقاء يومپى وقراسوس قناصل . وفي السنة التالية اراد قراسوس ان يباري (يومپى) وقيصر في نوال الفخر فعبّر نهر الفرات قاصدا فتح بلاد (البارثيان) الواقعة في الجنوب الشرقي لبحر قزوين ولما كانت هذه البلاد كثيرة المسالك وكان قراسوس جاهلا بالامور الحربية ضله لحد اشباع الاعداء فسار بجيشه في غابة غيباء حاصره فيها اعداؤه فقتلوه وأبادوا جيشه .

وفي سنة ٥٢ ق . م انفرد (يومپى) بمركز القنصلية مخالفاً في ذلك القوانين الرومانية وقد نشر دعوته وعضده على بلوغ آماله الخطيب الروماني الكبير (شيشرون) .

فلما علم قيصر بانتهاك حرمة التحالف استاء وطلب ان ينتخب هو ايضا قنصلا في السنة التالية فاجيب طلبه الا أن يومپى سعي لدى المجلس حتى ألغى قراره وأرسل اليه يأمره

بالحضور الى رومية كأحد الناس مجرداً من جيشه وهدده
 بن خالف بمحاربته واعتباره عدواً عمومياً ولكي يأمن المجلس
 جهة قيصر تزلف الى پومپى بان منحه رتبة (الديكتاتور)
 وأقنعه بضرورة محاربة قيصر الذي كانت قيادته على وشك
 الانتهاء غير ان قيصر أجاب مجلس الشيوخ بهجومه الفجائي
 بجيشه على ايطاليا قبل استعداد خصومه وحاصر (پومپى)
 في (برانديسيوم) ثم توجه الى رومية وأمن الجميع على أنفسهم
 وأموالهم ففر پومپى وأعضاء البسناتو الى بلاد اليونان سنة
 ٤٨ ق . م .



حكومت قيصر

٤٩ — ٤٤ ق . م

لما توسم أهل رومية من قيصر الرفق والصفح الجليل
تفانوا في محبته واطوعوا في خدمته فاصبح صاحب الامر
والنهي والحكم المطلق على بلاد ايطاليا بينما كان (پومپي)
مسموع الكلمة في اسبانيا وبلاد الشرق ولقد جمع من هذه
البلاد جيشاً كثيف العدد ليهجم به على ايطاليا واستولى قواده
على اسبانيا التي كانت مركز انصاره وبيت حزبه فلم يكن
من قيصر الا دخل اسبانيا فافتتحها باسرع ما يمكن وانتصر
فيها انتصاراً مبیناً ثم انه أظهر لاعدائه شفقة متناهية مخالف
في ذلك سنة ماريوس وسيلا في معاملة اعدائهما بالقساوة
الزائدة وصرح للذين سلموا أسلحتهم بالرجوع الى ديارهم
آمنين على انفسهم واعراضهم وبعدئذ قصد قيصر بلاد اليونان
ليتنقهر خصمه (پومپي) ولقد حصلت لقيصر عراقيل كثيرة

في سبيل انتصاره وبالرغم من محاولة خصمه الالاد المراوغة اضطره الى الحرب فكان قيصر من الفائزين في واقعة مدينة (فرسالى) يبلاد تساليا سنة ٤٨ ق.م فهرب يومئذ الى ديار مصر لينخذ مع ملكها بطليموس الثاني عشر على قتال قيصر فلم يكن من قيصر الا أن تعقبه الى مصر غير أن بطليموس خاف وجود يومئذ يبلاده فأمر (يوزان) أحد حاشيته بضرب عنقه وتسليم رأسه الى الامير قيصر الذي بكى بحرقة على خصمه وكانت الحرب قاب قوسين أو أدنى بين بطليموس وأخته (كليو پاطرا) وسبها أن أباهما بطليموس الحادي عشر أوصى أن تقسم المملكة بينهما وان يتزاوجا ببعضهما وتوسلت (كليو پاطرا) الى قيصر بأن يساعد لها ضد زوجها وأخيها وما علم بطليموس بذلك حتى أشهر الحرب على قيصر وكان معه ٤٠٠٠٠ جندي فارتأى قيصر أن يحرق سفنه وكانت مجاورة للقصر الماوي فامتد لهيها الى المكتبة التي كانت جامعة نفائس الكتب فاحترقها وعمل كل السياسة حتى أتاه مدد روماني فخارب بطليموس قاتل منافسة يومئذ وخدم خديته (كليو پاطرا) التي استأثرت بالملك بمفردها على وادي النيل الذي ترك

مستقلاً حباً في كليوباترا التي عاشرها قيصر ٩ أشهر وحملت منه سفاحاً ولداً يدعى (قيصرون) وبعدئذ توجه قيصر الى بلاد آسيا لمحاربة الملك (فرناس) بن متريدات الذي أراد أن يعيد مجد بلاده ويحمل حملة شعواء على الرومان فقهره في واقعة — زيبلا — وأخضعه لحكم بلاده .

ولما انبثق عام ٤٧ ق . م رجع قيصر الى مدينة رومية التي لم يستقر بها قليلاً حتى ذهب الى أفريقيا لانه علم بوجود أولاد پومپي الذين أحدثوا ثورة تحت قيادة الزعيم (كاتون) فهزمه قيصر في واقعة (ثابسوس) سنة ٤٦ ق . م فلم يكن من (كاتون) الا ان اتحر،

وفي سنة ٤٥ هاج أولاد (پومپي) في اسبانيا فذهب اليها قيصر ودحر زعماءهم ورد العصاة الى رشادهم وانتصر انتصاراً باهراً في واقعة مدينة (موندا) وذلك بعد بأس عظيم وقتل في هذه المعركة ٣٠.٠٠٠ من الاعداء وبعدئذ آب قيصر الى رومية فنحى مجلس الشيوخ لقب ديكتاتور مدة حياته وأنعم عليه بلقب امبراطور ما دام حياً وأمر بنقش صورته على المسكوكات الرومانية وان يسمى أحد الشهور باسمه وهو (شهر

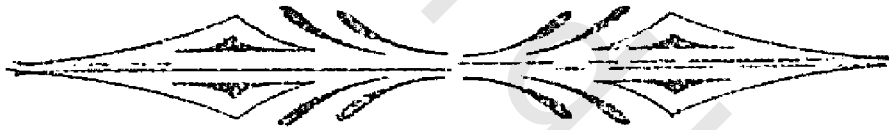
يولية لانه ولد في ١٢ منه سنة ١٠٢ ق . م) ونصب له تمثال
ورتب له حرس من النبلاء يخفرونه في حله وتر حاله وعدد
الشعب من معبوداته . فلم تزد هذه المنح قيصر الا تواضعا
ولينا اذ أصدر عفواً عاماً وأفرغ مجهوده في اصلاح بلاده وسن
قوانين لها وجمع شمل ما تفرق منها وأعاد لمجلس الشيوخ
سطوته وقضى الا ينتظم احد من اعضائه الا كل من كان
جامعاً شروط الكفاءة . ومما يؤثر عن هذا القيصر العظيم
والمصلح الكبير انه وجد في حساب السنة اختلالا لان
عدد ايامها كان معتبرا في عصره ٣٥٥ يوماً مع اضافة ٢٢
يوماً عليها كل عامين وكثيراً ما كان يهمل الفلكيون اضافة
تلك الايام الاخيرة ولذا اختلفت السنوات والأيام فأمر ان يتبع
حساب السنة الشمسية التي عدد ايامها ٣٦٥ يوماً مع اضافة
يوم واحد كل أربع سنوات وكان حساب اليونان وقتئذ
جارياً على السنة القمرية التي عددها ٣٥٤ يوماً كما هو معلوم
عندنا في شهورنا العربية واتقص عدد الذين كانوا يأخذون
المواد الغذائية الى النصف وادخل طريقة الحكومة البلدية
في جميع ايطاليا وتوسع كثيراً في منح حقوق الانتخاب

المسحرومين منها وحدث ان (قيصر) اشترط قبل ان يتوجه الى محاربة (البارثيان) وهم قتلة (قراسوس) ان يتوج ملكا على رومية وحدد هذا اليوم في ١٥ مارس سنة ٤٤ ق . م اذ بهذا النظام كانت حكومة رومية ستنتقل من (ديموقراطية) الى ملكية فتآمر عليه رجال الحزب الجمهوري الذين أقسموا ان يقتلوه في ذلك اليوم كيلا يقعوا في يد حاكم ربما انقلب ظلما وعليه قتلوه وهو في وسط مجلس الشيوخ وعمره ٥٥ سنة وكان زعيم هذه الحركة (قاسيوس) وبروطوس وهكذا تؤدي المعالي وكثرة الافراط فيها الى التهلكة اذ المرء لا تقنعه الدنيا وزينتها سوى التراب والكفن وسبحان الحي الدائم

ولما ووري قيصر التراب خلفه (مرقص انطوني) او انطونيوس وقد اندلعت الفتن من مراقدها وانقسم الناس الى حزبين كان اكثرهم عدداً حزب قيصر الذي قام يريد الانتقام من مدبري المؤامرة ولذا سهل على انطوني قتل خصومه ورتب لنفسه حرسا مكونا من ٦٠٠٠ جندي واستعمل قسوة

متناهية لأنه كان يعتقد أنه لو لا لين قيصر مع أصحابه لما
 قتلوه رغم كونه كان باراً بهم وأغلق لآثمه الوارفة عليهم
 واعتبر أن الشدة منجاة الحاكم الظالم وكان لانطوني منافس
 في اسبانيا وآخر في صقلية (سيسيليا) يدعى (سكستوس
 پومپيوس) ومما يدهش أن (انطوني) حكم رومية شهوراً
 ممثلاً في ذلك قيصر في كل شيء وكان لابن اخت قيصر شاب
 يدعى (جايوس اوكتافيوس) الذي أراد أن يرث ملك خاله
 فرجع الى إيطاليا طالباً بأن يحمل محله وكان عمره وقتئذ ١٩
 سنة فوجد في رومية انطوني ذا سلطة ونفوذ غارتأي من
 مصلحته أن يرشح نفسه بأن يعمل لذلك خفية عن أعين
 انطوني ثم تمكن من جذب قلوب الجندياء والذين كانوا
 يرحبون بكل من كان ذا علاقة بقيصر وكان الخطيب شيشرون
 من أنصاره ولقد سعى انطوني في اخذ (الغالة) فجمع
 (اوكتافيوس) جيشاً عظيماً واستأذن مجلس الشيوخ في سحق
 انطوني وإيقافه عند حده وفي تلك الاثناء كان انطوني متغيباً
 عن رومية لمعاينة المتأمرين فاتحد القنصلان مع (اوكتاف)
 وقصدوا بجيوشهم انطوني فقهروه وهزموا جيشه في واقعة

(ميوطينا) سنة ٤٣ ق . م وقتل في ميدان القتال القنصلان
فقداد (اوكتاف) الجيش بمفرده وسأل (السناتو) ان ينتخبه
قنصلا نظير نصرتة هذه بيد أن المجلس رفض طلبه فلم يكن
من (اوكتاف) الا ان دخل رومية بجيشه المظفر وانتخب
عنوة قنصلا في الحال وسنه لا يتجاوز العشرين عاماً ! !



الحكومة الثلاثية الثانية

٤٣ ق . م

لما رأى (أنطوني) اندحاره أمام خصومه وشدة تمسك
الفتى الشاب (اوكتاف) وتيقن الرأي العام بأن الخلل الذي
تطرق الى الحكومة لا يربأ صدعه اتحد مع (اوكتاف) و
(ليديوس) على انشاء حكومة ثلاثية توزع سلطاتها العمومية
فيما بينهم وأن يكون كل واحد منهم مطلق التصرف لمدة
خمس سنوات . ولقد كانت سياسة هذه الحكومة الجديدة
الشدة المتناهية فجعلت الشعب الروماني يئن من نير الظلم
والحيف وأدخلت طريقتي ماريوس وسيلا وصادرت أراضي
أعدائهما ثم قتلت اصحابها واودت بحياة الخطيب المصقع
شيشرون سنة ٤٢ ق . م

ولا يخفى ان بعض التآمرين على قتل قيصر هربوا الى
بلاد آسيا وشرعوا يحركون فيها الفتن ولقد كان زعيمى هذه
الحركة الثورية (قاسيوس) وبروطوس فتوجه لقتالهما انطوني

وأوكتاف سنة ٤٢ ق . م وتبعها إلى بلاد مقدونية حيث هزماها شر هزيمة في واقعة (فيليبى) ثم إن القواد قسموا الدولة فيما بينهم . فجعل (ابيديوس) في إيطاليا وأوكتاف منوطا بتوزيع الاراضي على المستحقين من المزارعين واث يسحق (سكستوس بن پومپى) عدو الحكومة الحاضرة وكان قد كمن في جزيرة صقلية .

أما الطونى فأرسل حاكماً على بلاد الشرق غير انه اتبع حياة الكسل والترف وخطبت وده الملكة (كليوباترا) عزيزة مصر حيث تمكنت بينهما العلاقات الغرامية . بينما كان الشاب (اوكتاف) يزيد في مركزه بهدؤ وتعلل غير ان (لوسيوس) اخا الطونى حاول في سنة ٤٠ ق . م ان ينال السلطة العليا على بلاد إيطاليا فهزمه (اوكتاف) الذي طهر رومية من أسرة الطونى وقتل ايضاً ابنه وذلك ليستولى على بلاد إيطاليا بلا منازع وأقام نفسه حاكماً مطلقاً على بلاد الغالة التي كانت في الحقيقة نصيب الطونى ثم ان (اوكتاف) حسن إلى صديقه (لبيديوس) بلاد افريقيا نظير مصادقته على اعماله هذه وفي نظير ذلك اعطاه مديرية افريقيا .

وما علم النطوني بما حل في بلاده قسدها سنة ٣٩ ق
 بأسطول ضخم مكون من ٣٠٠ سفينة حربية فندخل بعض
 الأعضاء وأصلحوا بين النطوني وأوكتاف حقناً للدماء إلا أن
 سكستوس بن يومبي قاد أسطولاً ضخماً ومنع الزاد عن
 رومية الواصل إليها من جزيرتي صقلية وسردانيا وأخيراً
 تصالح مع النطوني وأوكتاف على أن تعطى له جزائر صقلية
 وقورصقة وسردانيا وبلاد اليونان ولقد اتحد القواد الثلاثة
 في اجتماعهم الثاني في (برانديسيوم) على إبقاء النطوني حاكماً
 على بلاد الشرق وأوكتاف على إيطاليا وبلاد الغرب وليبيديوس
 مديرية أفريقيا . وفي تلك الأثناء هجم (البارثيان) على
 مديريات النطوني الواقعة في البلاد الشرقية تحت قيادة ضابط
 روماني يدعى (لاينوس) فهزمهم القائد (فينتيديوس باصاص)
 ولم يقد النطوني الجيش بنفسه لفرط حبه وهيامه الشديد
 بالملكة (كايو پاطرا) التي أصبح لا يتحمل مفارقتها وفقد تلك
 الشجاعة المشهورة عنه والدربة الحربية وفي سنة ٣٩ حاول
 (أوكتاف) أن يهزم (سكستوس يومبي) إلا أن الأخير
 لظاهر عليه فارتأى الأول أن يكمل هذا الأمر إلى الأمير

البحري (مرقص اجريا) الذي شرع يجهز أسطولا آخر .
وفي فجر سنة ٣٧٧ اجتمع القواد الثلاثة أيضا لثالث مرة فاتفق
انطوني على ان يعطى (اوكتاف) ١٢٠ سفينة حربية ليحارب
بها (سكستوس پومپى) نظير ان يعطى (اوكتاف) لـ أنطوني
٢٠.٠٠٠ جندي وفي سنة ٣٥ هزم القائد (اجريا)
سكستوس پومپى وقتله في واقعة (نولو كوس) وبذلك أصبح
(اوكتاف) الحاكم المطلق على البلاد الغربية بأجمعها وكان
يكاد ويسعى في تقوية مركزه بينما كان انطوني منهمكا في
ملاذاته على تمارق الراحة وحياة الدمقس والاستبرق تاركا
مدبرياته الشرقية يعيث فيها (البارثيان) الذين فوضوا دعائهم
ولم يظهر التفاتة أو يعمل مظاهره بزية تجعلهم يرفعون عن
غيرهم الا أن الحب يعمي ويصم حتى أنه لم يعد في وسعه مفارقة
حبيبته وزوجته وجبن عن الدفاع ونسى وطنه الا صلي وأصبحت
أسكندرية كعبة أماله واعتاد حياة الكسل واللهو واللعب
وفقد الشبامة والجرأة وذلك بعكس الشاب اليقظ (اوكتاف)
الذي كان يريد إدراك المعالي والاستئثار بالحكم بمفرده فكان
يعامل الناس بالحسنى ويصفح عند المقدرة ويكثر من العطايا

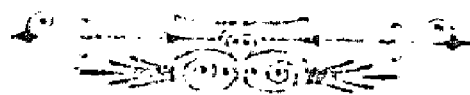
المفقراء ونظم إدارات الحكومة .

وحدث أن أنطوني سالت له نفسه للضرورة أن تجعل لابنه المرزق له من (كليوباترا) وأرثاشرعياً للدولة الرومانية ومنح (كليوباترا) بلاد الشام وسيليسيا وأفريقيا وقبرص تلك البلاد التي هي ملك الشعب الروماني ولم يكن هو إلا حاكماً عليها فأشهر (أوكتاف) الحرب عليه وعلى حبيبته وكان أسطولاً يقوده (أجريا) فلم يكن من أنطوني إلا أن خرج بعمارة بحرية عدد قطعها ٥٠٠ سفينة حربية وبعد أن كاد ينتصر على (أوكتاف) تنحى (كليوباترا) عن مساعدته وهربت فجأة فاستوجب ذلك خلل أسطول أنطوني فهزم في واقعة (أكسيوم) الواقعة على الشاطئ الغربي من بلاد اليونان سنة ٣١ ق . م ولما استفاق أنطوني من سكرته لم يجد عشيقته (كليوباترا) فذهل وارتج عليه وفرّ قاصداً الإسكندرية ليلحق من ممالك فؤاده فكان لها عبداً فاستولى (أوكتاف) على أساطيل عدوه وقدم قائد جيش أنطوني البري نفسه وعسكره إلى (أوكتاف)

وسبب تنجي (كليوباترا) عن مساعدة حبيبها إنها

رأت من مصاحبتها ان تنضم في صف المحارب الاقوى بأساً
والأكثر عدداً فأرسلت الى (أوكتاف) تظهر له حبها
والخلاصها وتوسلت اليه ان يرق لها ومنجتها (الفرما) التي
كانت مفتاح الديار المصرية عربون صداقتها . فلما أغضى عنها
ولم يهتم بحبائلها الشيطانية قنطت ثم أن (أوكتاف) تعقب
انطوني الى الاسكندرية . فدخلت (كليوباترا) قصرها
وتوالت الاشاعة بأنها انتحرت فبلغ ذلك الى مسامع (انطوني)
فعز عليه أن يحرم من رؤية حبيبته فعزم على أن يزهرق روحه
لتحقق بها ثم أنه ترجل فطعن نفسه بحسامه وقبل ان تفيض
روحه أخبر بأن زوجته لم تزل حية ترزق فطلب بخشوع
وتدلل أن يحمله اليها ليحظى برؤيتها غير ان المنية عاجلته
فأرسلت (كليوباترا) ثانياً رسائل حبها الى (أوكتاف)
لتجذب قلبه اليها وتخدعه بلحظاتها الساحرة لتصير عبيد
شهواتها كزميله انطوني وخاله قيصر بيد أنها لم تنجح في
اجرا آتها وباءت بالخسران المبين . ولما علمت اصرار (أوكتاف)
على أسرها وشد وثاقها زارت ضريح حبيبها انطوني وبكت
طويلاً ثم أمرت فأحضرت اليها حية رقطاء في سلة تين

وارتدت ملامبها المأزكية ونامت على سريرها المصنوع من
 الذهب النقي وسلطت الحياة عليها فلدغتها لدغة أودت بحياتها
 وكان عمرها ٣٩ عاماً ومن ثم انقرضت دولة البطالسة التي
 حكمت الديار المصرية ثلاثة قرون تقريباً . فأصبحت مصر
 مستعمرة رومانية منذ سنة ٣٠ ق . م إلى أن فتحها الصحابي
 الشهير عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فأزال سلطة
 الرومان من البلاد المصرية ودخلت منذ فتحه في حكم خليفة
 المسلمين (تراجع طريقة فتحه مصر في كتابي (تحفة
 الآنام في التاريخ العام) صحائف (٦٩ — ٧٥ جزء أول)



سقوط الجمهوريّة الرومانيّة

ترك (اوكتاف) ديار مصر بعد أن وطد فيها نفوذ الدولة الرومانيّة ولقد عامل المصريين بأحسن الأخلاق وجميل الخصال حتى ضرب المثل بعدله وأباح لهم عبادة أصنامهم وفتح معابدهم وأمرهم أن يتمسكوا بأهداب عوائدهم القوميّة فاتقادوا اليه وسبحوا بحمده بكرّة وعشيا وبعدئذ عاد الى مدينة رومية فلقبه الشعب الروماني بلقب (أغسطس) ومعناه الرئيس الأعلى وانفرد بالحكم على الدولة بدون منازع له . فازداد (أغسطس) حياءً وتعطفاً وكانت سياسته سلميّة محضّة وأصبحت كلمته لا ترد ولقد أكثر من الاعياد الوطنيّة ونظم الجيش وأخرج الدخلاء من صفوفه وجعل فرقة دائيّة من رجال متدربين على الحرب والقتال في كل آن . وجعل لدولته ميزانية ماليّة وانتشرت في وقته العلوم والمعارف وراجت بضاعة الأدب وعمت الدولة الفضائل ونظمت مباني رومية وشيدت فيها القصور الشاحخة وعمرت المدينة بدور المكاتب

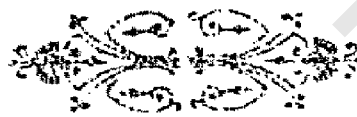
العلمية وبعد انقضاء العشرين سنة من حكمه ولدت السيدة العذراء مريم السيد المسيح في بيت لحم بالقرب من القدس الشريف فكان ميلاده قبل الهجرة النبوية بمقدار ٦٢٢ سنة.

وكان الرومان قبل عصر هذا القيصر أو السلطان يحتقرون الحرف لأنها كانت محتكرة في أيدي العبيد ولربما كان تعير المصريون منها في وقتنا الحاضر يرجع الى تأثير العوائد الرومانية التي أدخلت في عهد الفتح الروماني وان كانت الحرف أصبحت الآن أشرف ما يحترف به في اوربا ولم ينسج المصريون على منوال الشعوب الحديثة التي تقدر الحرف والصنائع وتدرّب بنائها على حياة العمل فقبضوا على تلك الامم الغافلة عن الصناعة التي هي منشأ القوة .

وكان جل عامة الرومان التفرج في امكنة المصارعة وقتال الحيوانات المفترسة واخذ المواد الغذائية بدون مقابل من مجلس الشيوخ وكانت العامة تتسول في الطرقات بدل الكسب واستأثر الأعيان بسائر الاملاك اذاً نستنتج من ذلك انه لو كانت الحرف والصنائع منتشرة في ذلك الوقت لوجد مجال واسع يسترزق منه هؤلاء الكسالى الذين كانوا

مالة على الشعوب التي افتتحتها الرومان فإن الولاة كانت ترسل
الحبوب الغذائية منها الى المجلس ليوزعها بلا مقابل كما قدمنا
في غير هذا المكان . . .

وتوفي الملك العادل (أغسطس) سنة ١٤ ميلادية وكانت
جيوشه تحارب أهل (جرمانيا) وقد انتصرت عليها بعد
أهوال عظيمة يئس منها (أغسطس) ولقد توفي وهو غير
عالم بظفر جيوشه بالاسلة وعمره ٧٦ عاماً وفي مدة هذا القيصر
العادل ظهر السيد المسيح عليه وعلى نبينا محمد الصلوة والسلام



الباب الثاني

تأسيس الدولة الرومانية

- (القياصرة الأول) -

مهمته

القيصر العادل أغسطس

كانت الدولة الرومانية في عصر هذا الملك العادل يحدها شمالا بحر المانش ونهر (الرين) ونهر الطونة (الدانوب) والبحر الأسود وجبال القوقاز وشرقا جبال ارمينيا ونهر الدجلة وصحراء العرب وجنوبا صحراوات افريقيا وغربا المحيط الاطلسي وكانت كل هذه الحدود آمنة ما عدا الحدود الشمالية والشرقية فان الأولى كدر صفوها الألمان والثانية أهل البارثيان تلك القبائل التي خافها الرومان كثيرا واقتدص

الملك أغسطس حكمه في إصلاح المديريات وكانت كما علمنا
 حكومة بولاق من القضاة (القناصل) بعد انتهاء مدتهم
 والذين كانوا يسومون محكوميههم سوء العذاب ولا يعملون
 إلا لخدمة صالحهم وارضاء مجلس الشيوخ فلما تربع الملك
 أغسطس على عرش رومية رأى ان يأخذ سائر المديريات التي
 لم تخضع للرومان تماماً تحت مراقبته مباشرة وذلك لتكون
 جيوشه دائماً مرابطة فيها بحق ما خول له من القيادة العامة
 على الجيش وكان مقصده من ذلك ابقاء الجيش في قبضته دائماً
 فكان يرسل ضباطه ولادة على تلك الاقاليم اما التي كانت
 خاضعة للرومان خضوعاً تاماً فتركها تحت تصرف مجلس
 الشيوخ بيد أنه كان يرسل مفتشين من رجاله لمراقبة ولايتها
 الذين هم من الشيوخ وكان يسمع بنفسه شكاوي الأهالي
 ويعاقب كل جائر وينشر العدل بينهم حتى أنه ساواهم بسكان
 إيطاليا نفسها ولم يجعل بلادهم غنيمة سائغة للرومان الذين
 أفهمهم أن رومية فقط عاصمة هذه الأمم وليس اهلها ساداتهم
 حتى أنه منح عموم سكان الاقاليم درجات المدنية وسائر
 الحقوق الرومانية السياسية فأصبحوا يسبحون بحمده وأحصى

تعداد سكان دولته وفرض خريبتين أحدهما على الأراضى
والأخرى على عوائد الأملاك ووضعت هذه الضرائب على
أساس متين لا يرهق الممولين .

ركان اغسطس ذا سياسة حكيمة استولى بها على زمام
الامّة الرومانية اذ انه أصبح ملكا بالتدريج دون ان تشعر
بذلك بمعنى انه لم يتجاسر ان يعلن الملوكة دفعة واحدة كما فعل
خاله جولياس قيصر مما أدى الى اغتيال حياته بتلك المؤامرة
اذ عزيز على النفوس الشريفة ان تدعن في الحال لحكم فرد
واحد ولو كان من الملائكة المقربين بل انه استولى برضا الامّة
على الوظائف القديمة واحدة بعد أخرى فمثلا أعطى الحق
المطلق في تعبئة وتجنيد الجيوش وقيادتها العامّة ومنح لقب
أول مدني في الامّة فأصبح الرئيس الأعلى له الحق في التكلم
قبل أي انسان في مجلس الشيوخ والرد على ما يوجه من الاسئلة
كما انه أعطى وظيفة الاحصائيين فتمكن بذلك من مراقبة
تعيين أعضاء السناتو ولقد انتخبته العامّة (تريبونا) فأصبح
بهذا الانتخاب قائدهم وبعدها أخذ سلطة القناصل ليشرّف
على رجال القضاء وفي النهاية جعل الناس تنتخبه رئيس الكهنة

وبهذا الحق أصبح زعيم الديانة الرومانية ولا ريب أن جمع هذه الوظائف في شخصه مكنته من مراقبة سائر أعمال الحكومة فضلاً عما منح إليه من لقب (أغسطس) ومعناه صاحب العظمة والجلالة فكان هذا اللقب وتلك السلطات عنوانين المبركة بمعناها الحقيقي دون أن يشعر بها أعداؤها وهذا بلا مشاحة منتهى الخلق في السياسة ودرس نافع لأهل الطفرة والمجلة بلا ترو في شؤونهم .

ولقد كان القيصر أغسطس شغفاً بمجالسة الأدباء والعلماء وإطالما حضهم على التأليف وبذل لهم العطايا فوضع المؤرخ الشهير (تيتاس ليشيوس) تاريخاً مطولاً لرومية وظهر كثير من الشعراء الفطاحل مثل (يابليوس فرجيليوس مارو) و (يابليوس اوفيدوس فارو) و (كينتوس هوريشيوس فلاقوس) وغيرهم من كبار الشعراء والكتاب فكان عصر أغسطس عصر الحضارة والنهضة الفكرية والنوابع .

ومع ما عليه هذا (الامبراطور) من العظمة فإنه كان زاهداً عاش عيشة بسيطة دون أن يتظاهر بالشمخة والكبرياء وكان لا يغفل عن كل صغيرة تحصل في دولته فضلاً عما يديه

من الآراء الثاقبة في كل نقاراح فكانت الأمة ومجلس شيوخها
لا يعمل الا بإرادته التي كانت لا ترد . وكان مطمح انظاره
الا يوسع حدود مملكته حتى انه كتب تعليمات لمن سيخلفونه
من القياصرة او الامبراطرة الا يتوسعوا فيها ولقد حققت
رغبته اذ لم تضاف الى دولته سوى جزيرة بريطانيا العظمى
سنة ٥١ ب م في عهد القيصر (قلوديوس) و (داشيا) سنة
١٠٦ م في عصر القيصر (طراغان) . بيد ان قيصر اغسطس
عزم على فتح بلاد الالمان التي طالما هددت حدوده الا ان
الالمانى (ارميذوس) هزم القائد الرومانى (قاروس) وأباد
جميع جيشه سنة ٩ م وقيل ان اغسطس مات كدأً وغماً على
هزيمة جيشه حتى انه كان يسمع في نومه يقول (قاروس
قاروس ردالى جيوشني) وقد علمنا انه أرسل جيشاً آخر فتح
بلاد الالمان غير أن اغسطس توفي سنة ١٤ م قبل ان يعلم
ينصره البين !!

طبير يوس قيصر

(١٤ - ٣٧ م)

تقاد (أغسطس طبير يوس) وظائف شتى كان فيها مثال الشهامة والنشاط حتى ان القيصر اغسطس ولاد الاحكام في السنين الاخيرة من حكمه . فلما توفي اغسطس منحه مجلس الشيوخ نفس الالقاب والامتيازات التي كانت لسلفه ولقد تظاهر هذا الملك الذي كانت ظواهره لا تدل على ما في بواطنه بالعجز حتى أنه قبل عرش الملك مكرهاً وولى على مصر عامله (امليوس اولوس) الذي أراد زيادة تخرابها فكتب اليه طبير يوس يقول (ان امنيتي من الراعي ان يسمن ما يرعاه فلا يذبحه) .

ولا شك ان هذا الملك قد عمل اعمالاً نافعة تخلد ذكره في التسع سنين الاولى من حكمه لانه كان يراقب الولاة ويتأكد من تطبيق العدالة بالرغم من كونه لم يأخذ اختصاصات

الوظائف الرومانية الرئيسية كما فعل سلفه اغسطس واستغنى قطعياً عن جمعيات الشعب ولم يشرك مجلس الشيوخ معه في عمل القوانين وبعد ان كان هذا الملك يظهر التواضع أصبح ملكاً عبوساً عنيداً اعتبر نفسه سيداً وأمته رعية مسيرة لا مرد وعادى النبلاء والاعيان فلما أن رأى أعضاء مجلس الشيوخ ان لا سلطة لهم ولا عمل في التشريع اجتهدوا ليخلقوا لهم عملاً يتناقشون فيه فكان يتهم بعضهم البعض بالتآمر على اغتيال حياة الامبراطور ويتناقشون في ذلك بحدة لينالوا ثقة الملك وان كان طيبريوس لم يهتم مبدئياً بتلك الصغائر الا أنه لما توسم عدم محبة الشعب له لقساوته أقر أعمال السناتو فأصبح الملك يوحى الى أعضائه باتهام كل من ظنه معادياً له وبهذه الطريقة قتل كثيراً من النبلاء والأعيان الذين كان يخافهم وأصبح ظالماً جباراً وساعدته أحوال رومية في هذا الوقت على زيادة جبروته وذلك لان العامة كانت لا تهتم بشؤون الحكومة ولا بأفعال الامبراطورة متى كانت الغلال توزع عليهم دون ان يدفعوا شيئاً في شرائها وكانت الألعاب وسائر أنواع المسرات تعرض امامهم مجاناً والحقيقة ان قود الملك

كانت في جيشه الذي يفعل به ما يريد وكان له حرس ملوكي بلغ عدده في رومية وحدها ٦٠٠٠ فارس ويدعون بالحرس الپريتوري وكان رئيسهم (الياس سيغانوس) .

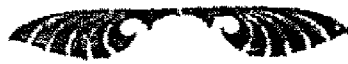
وفي عصر القيصر طيبريوس وجدت طائفة الجواسيس وكان يطلق عليهم المبلغون الذين انحصرت وظيفتهم في اتهام أي انسان بانه عدو الامبراطور او ساع في اغتيال حياته باندماجه في مؤامرة سرية وبهذه الطريقة كانوا يهتمون كل من كرهه الملك وانبنى على ذلك قتل البقية الباقية من النبلاء القدماء وأصبح كل انسان في رومية غير آمن على حياته وماله من جراء هؤلاء الجواسيس الذين كانت اقصى أمانيتهم السعي المتواصل في اتهام الناس طمعاً في اخذ شيء من ثروتهم ولا شك ان هذه الطريقة منتشرة في كل حكومة استبدادية فكان عصر القيصر طيبريوس كعصر السلطان عبد الحميد الثاني في القرن العشرين وما فساد الملوك الا بيطانتهم وفساد حاشيتهم فالولا ان اعضاء السنا توقيوم لاصالح لهم في المملكة لانهم لم يكونوا سلالة هؤلاء النبلاء اعضاء مجلس الشيوخ الذين كانت دماء العظمة تسري في عروقهم ما حصلت هذه

المفاسد في هذه الدولة الآمنة المطمئنة ولما اتسع الخرق وأوهم هؤلاء الأعوان أن يستبدون طير يوس بأن الناس تكرهه وأن جمعيات سرية تريد اغتيال حياته خاف على نفسه فترك رومية واعتكف في جزيرة (كاپري) الواقعة في خليج نابولي حيث عاش بين المنجمين والعرافين والكهان وزجرة الطير وكان وزيره (الياس سيغانوس) ظالما طاغيا وقد طمحت نفسه أن يرث القيصر لئلا من السلطة المطلقة العامة فسعى ليديه حتى قتل أسرة اغسطس على التدرج وكانت معادية له ولما آانس طير يوس في وزيره الخيانة كتب خطابا مطولا الى السناتويأمره فيه بشد وثاقه وسجنه وتصادف أن (ليغانوس) كان حاضرا أثناء تلاوة الخطاب المملوكي ظاننا ان القيصر قد ورثه الامبراطورية من بعده فلم يتم الخطاب الا وبه الامر بسجنه فمكتف في الحال وكان كلما مر في شارع وجد الناس متظاهرة تقذف تماثيله المرفوعة وما وصل الى السجن حتى قتل في الحال وطرح جثته في الميدان العمومي ففرح الناس وهزقوها إدبا إدبا ولا يحق المكر السيء الا بأهله . . . !

وتوفي طير يوس سنة ٣٧ م بعد أن حكم ٢٣ عاما وبلغ

عمره ٧٨ سنة فكان يوم وفاته فرحاً عمومياً لاهل رومية وقبل وفاته بأربع سنوات رفع عيسى بن مريم الى السماء وله من العمر ٣٣ سنة وثلاثة اشهر .

ولستنتج مما تقدم أن (طبريوس) قيصر كان سيء السياسة الداخلية حسن العلائق الخارجية فكان العدل مرفراً بجناحيه على ربوع المديرية فلم يحصل فيها أدنى اختلال وكان هذا الملك مقتصداً مغرمًا بالادييات وله تصانيف عديدة باللغتين اللاتينية واليونانية شعراً ونظماً وتنسب مدينة (طبرية) التي ببلاد الشام الى اسمه ولما توفي وجد في خزانة مالية الحكومة ٢٥٠ ٢١٦ ٢١ ربية مصري .



الملك كاليغولا قيصر

(٣٧ — ٤١ م)

تبني الملك طيبريوس الأمير (كاليغولا) (١) بن البطل العظيم (جيرمانيكوس) الذي بلغ حبه العبادة عند الرومانيين نظراً لانتصاراته المينة على أعدائهم في ميادين الوغى وكان ولده (قايوس كاليغولا) معروفاً بالفراصة والشجاعة منذ نشأته وله مكانة بين الضالوع والحشا عند الجيش والشعب الروماني الذي فرح بتوليته ليرفع عنه نير الظلم ويسترد ما فقدته من حقوقه المقدسة في عهد سلفه . والحقيقة أن (كاليغولا) كان في مبدأ حكمه ملكاً عادلاً محباً لشعبه متفانياً في إسعادهم لم يشغله بوزأب صدعه ومنحه الحرية وحقق العدالة إلا أنه أصيب بعد

(١) معنى هذه الكلمة (القارب الصغير) وقد أطلقها عليه جنود أيه مؤملين أن هذا الصغير يكون متسعاً لهم !

فترة قليلة بمرض بعد برئه منه اعتوته نوبة عصبية قضت على ضياع قواد العقلية فأصبح ظالماً قاسياً أتى بكل أنواع المجون وارتكب أفعالا شنيعة وجاء بالملذهشات المضحكات المبكيات وبدد تلك القناطير المقنطرة من الذهب التي تركها سلفه الملك طيبريوس ثم انه باع مخلفات ملوك رومية من الجواهر الثمينة والعقارات . وكان قليل النوم ومن الأعمال الجنونية التي أتى بها أنه أمر بجمع سائر السفن في خليج (بي Baiae) وأوصلت بالبر بالأواح وعوارض خشبية وعرشت بالألواح ثم فرشت بالأتربة ورشت وغرست على ضفافها الاشجار المثمرة ووصل إليها بموكب عظيم ومهرجان فخيم وهو راكب جواده وذلك ليقال إنه مشى بحصانه فوق البحر . ورشح فرسه ليكون حاكماً على رومية وقد اتخذ له منزلاً خاصاً ثميناً لاث نفيس الرياش وجعل قلايته محلاة باللؤؤؤ ومزودة من العاج واصطبله من المرمر وشرابه من الخمر الذي يقدم في أكواب مصنوعة من الذهب وكانت حياة الشعب ومماته عنده سيان وحكي انه قال في إحدى الاجتماعات العمومية ليت أمتي تكون ذات رأس واحدة فأضرب عنقها بحسامي . وبني لنفسه هيكلًا وضع فيه تمثاله

لتعبده الأمة وعين له قساوسة تتقرب من ذاته عليه وأراد أن يضع
تمثاله في بيت المقدس لتعبده اليهود فامتنعوا ولذا ساء بهم عذاباً
عظيماً واضطهد النصارى وبالعن في قتلهم ولما غضبت ثروته شرع
يقتل الأغنياء ويستولى على أموالهم . . . !

فلا شك أن شعباً هذه صفته يقبل الضيم ويصبر على
مجنون كهذا لا يستحق الشفقة لو كان ما ذكر من أعمال هذا
القيصر صحيحاً إذ كيف يعقل أن شعباً حراً إذا قوانين محكمة
وعظيمة ثابتة ينفذ لمجنون أوامر مع أنه تأمر بعض أفراد على قتل
الحاكم العادل قيصر . . . ؟ ؟

هذا ولما ازداد جنون هذا القيصر جنونا لا يطاق فضلا
عن جبنه المتناهي دبرت مؤامرة من خدمته رأسها أحد الأعيان
المدعو (قاسيوس) الذي طعنه بخنجر طعنة نجلاء أراحت
العالم من حياته الخبيثة بعد أن حكم أربع سنوات وبئس عقبي
الدار

قلود يوس قيصر

(٤١ — ٥٤ م)

لما قتل الملك كاليغولا حاول مجلس الشيوخ ان يستأثر بالحكم على رومية ويرجع عهدها القديم ليريحها من القياصرة الذين ساموا أهلها عذاباً اليماً الا ان الحرس الپريتوري بينما كان رجاله ينهبون القصر الملوکی عقب قتل كاليغولا وجدوا فيه الامير قلود يوس مختبئاً فاتخبوه ملكاً لانه كان شقيق القائد (چيرمانيكوس) وعم كاليغولا الا ان هذا القيصر كان مغفلاً ابلاً مغلوباً على أمره نحيف الجسم سيء التدبير ولذا لم يهتم به احد ولم يقتله (كاليغولا) لقلة اهميته ولكونه عاملاً اشل في الهيئة الاجتماعية ولكن هكذا أراد الحرس الملوکی فاذعن السناتو والقنصلان لارادته ثم ان قلود يوس منح كل جندي ٢٥ جنية مكافأة وكان هذا الملك محباً للعدل غير انه كان مغلوباً على أمره لا يبرم شيئاً بنفسه فاقتمزت زوجته

(سالمين) هذه الفرصة فاتبعت هواها ولوثت شرف الملك
واخيرا دبرت له مؤامرة لاغتبال حياته لتنصب عاشقها قيصر
فاطلع على احوالها فقتلها اشنع قتلة وتزوج بالأيم (اغريينا) وكانت
بنت اخيه (جيرمانيكوس) وحدث ان وزراءه وبطانته السوء
كانت تعث في الاحكام وتحبب اليه قتل الناس . وكان
قلود يوس حسن النية ولقد افتتح جيشه تحت قيادة (أولوس
بلانيوس) جزيرة بريطانيا العظمى سنة ٤٣ م فحقق آمال
قيصر واغسطس كما حقق السلطان الغازي محمد الفاتح رضي
الله عنه رغائب المسلمين في فتح مدينة القسطنطينية سنة
١٤٥٣م بعد ان اعيتهم الحيل واستولى الرومان في عصره على
بلاد ارمينيا وأخضعوا (ليديا) بلاد الشرق ومغاربة افريقيا
وعلمل قلود يوس أهل الغالة معاملة حسنة ومنحهم درجات
الشرف واخيرا سعت (اغريينا) لدى زوجها قلود يوس
ليتبني ولدها الذي رزقت به من زوجها الاول فاجابها الى
رغبتها ثم أنها سقته جرعة سم لتجمل ولدها (لوسيوس
دوميشيوس نيرون) ملكا وقد نالت ماتممت بفضل خبثها
وحبائلها الشيطانية !

نيرون قيصر

(شيخ الظالمين وإمام المستبدين)

(٥٤ — ٦٨ م)

لما احتفل بدفن الملك قلوديوس قام بالامر بعده الأمير
(لوسيوس دوميثيوس نيرون) (١) وكان عمره ١٧ سنة ولقد
أظهر مبدئيا صفات حسنة كانت تنطق بأفصح بيان على جدارته
بعرش الملك اذ خفض الضرائب وحارب المظالم بإسلاح العدل
فتعلقت قلوب الامة بحبته وأطوعت الرعية في خدمته وارتأته
مهمجها في سبيل طاعته الآن والدته (أغريپينا) نزلت منه
السلطة فكانت الحكومة في الحقيقة ونفس الامر مشخصة
في ذاتها مما لها من حق الرقابة على ولدها القاصر واشتهرت
هذه الأميرة بالقسوة والدناءة فتذمر الوزراء منها وحبب

(١) من اراد التوسع قليلا فليراجع كتاب تاريخ الرومان

للعلامة الدكتور جولد سميث صحائف ٢٢٦ — ٢٣٣

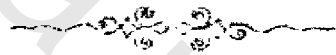
الحكيم الشهير (سينيكا) الى تلميذه نيرون قيصر بأن يقتل والدته ليقبض على زمام الحكومة بتفرده فاوحى للملك الى (انيقاطوس) أمير البحرية ان يركبها في إحدى السفن الملوكة ثم يغرقها الا أنها نجت فقصدها (انيقاطوس) في قصرها وقتلها .

ولما خلا الجو للملك (نيرون) فاصبح الحاكم على رومية بلا منازع اتبع المفاسد وانهمك في المعاصي وأولع باللهو ثم صادر أموال الاغنياء ولطالما نصحه أستاذه الفيلسوف (سينيكا) بأن يتبع سنن العدالة الا ان الملك جازاه بالنفي وأمر أعوانه بأن يحرقوا سرا مدينة رومية اذ أفهمهم بأنها عتيقة المباني مشوهة النظام معوجة الطرقات ضيقة المنعطفات فاخرمت فيها النيران ستة أيام سويا سنة ٦٤ وكان نيرون في اثناء اللهب واقفاً على تل مرتفع يشاهد هذا الحريق الذي جعل المدينة قاعاً صفصفاً تذرود الرياح وكان يعزف على ربابته. ولما علم السواد الأعظم بأنه الفاعل لهذا الحريق المحرض على اخرام النيران ليسلى نفسه اتهم النصارى بانهم الجانون فعذبهم عذاباً اليالم يره أحد من العالمين اذ أمر فأدخلوا في جلود الحيوانات ثم طرحوا

للكلاب بحالة بشعة تفتت الألباد وتنطق الجحاد على أن
نيرون ما كان يكثر بهذه الفعال التي كانت عنده بمثابة
حوادث تمثيلية فكان يراها بنفسه وما وافى عام ٦٦ م حتى
أمر بصلب الحواري بطرس وبضرب عنق بولص وكانت
الأول رأس الحواريين ورسول السيد المسيح إلى رومية وقتل
مرقص الانجيلي بالسكندرية وهو الذي بشر بالمسيحية في
مصر وسواحل أفريقيا الشمالية.

وكانت بعض التصاري تدهن اجسامهم بمواد ملتهبة
وتحرق في الليالي لتنير الظلمة في حقائق الملك لكونهم
كانوا لا يعبدون تمثاله ولا يشتركون في الحفلات المليئة
الرومانية فاعتبرهم أعداء الملك والانسانية ولذا استباح قتلهم
ومصادرة أموالهم وبعدهم عذب اليهود . وبالجملة فان نيرون
أتى بأعمال وحشية حتى أن كل فرد في الدولة أصبح مرتعد
المفاصل واختلت العدالة وخيم الظلم بسرا دقه الخالك على ربوع
رومية فاتفق الرومان على قتله وساعدوا في موامرهم الحكيم
(سينيكا) إلا أن بعض أعوان نيرون أطلعوا على سر المسئلة
فقبض على أصحابها وأذاقهم كأس الحمام فتهيجت اعصاب

الدولة وتحرك الجيش بخاف السناتو ان ينتشر بنيانها وتتضعضع
 الفتها فأصدر حكما بان (نيرون) عدو عمومي للشعب يجب
 قتاله وما أرسلت الفرسان اليه حتى سمع جلبة وقع حوافر
 جيادها فانتحر اذ طعن نفسه بخنجره فمات لساعته وبموته
 انقرضت أسرة اغسطس الملوكية لانه لم يعقب ولم يوجد من
 يرثه من أسرته .



انقراض أسرة أغسطس

الملوك كيت

﴿ قيام ملوك العسكرية ﴾ -

الملك غلبا

ولما انقرضت أسرة أغسطس الملوكية التي هي سلالة
جولياس قيصر حاول مجلس الشيوخ ان ينتخب ملكا على
رومية الا أن اجرا آتته كانت معطلة لان الجيش لم يقرها
وأخيراً أجمع الرأي على انتخاب — (سرفيوس ساليوس غلبا)
سنة ٦٩ م وكان من الاشراف المعدودين وفي وقت انتخابه
كان قائداً لجيش اسبانيا وعمره ٧٢ سنة . فلما تبرع هذا الملك
على العرش عزم عزمًا أكيداً على أن يحكم الدولة بالقسطاس
المستقيم فلا تأخذه في الحق لومة لائم غير انه كثر عن

أن يأبىه للحرس الملكي وتبني الشاب (بيرو لوسينيانوس) وكان
 جديراً بمنصب الملك لأنه كان متواضعاً عادلاً لم تؤثر عليه
 زخارف الأبهة ولا حياة البزخ والترف غير أن مجلس الشيوخ
 لم يرتح إلى تبني هذا الشاب واتخاذ ولي عهد الدولة لأن أعضاء
 هذا المجلس اعتادوا على أخذ الرشوة وعلى المحاباة فلم تعد نفوسهم
 تتحمل وجود ملك يخالف عقيدتهم فلا يساعدهم على إشباع
 بطونهم وملاً جيوبهم ذهباً وفضة ولذا قابلوا تبنيه بفتور وبرود
 تام . وحدث أن الملك غلبا اتهم رئيس الحرس الملكي بالخيانة
 وكان يدعى (مرقص سلاشيوس أوتون) مع أنه كان محبوباً عند
 الرومانيين ومن أنصار هذا الملك وكان يعمل نفسه بالآماني
 الكاذبة بأن الإمبراطور (غلبا) سيتخذ ولداً يرثه في الملك
 من بعده فاستاء (أوتون) من أجراأت الملك وعزم على
 تنصيب نفسه ملكاً بوسائل القوة حيث أن الطرق السلمية
 لم تفده شيئاً ثم أنه أرشى الجنود الذين رحبوا به وانتخبوه بالقوة
 ملكاً وأشهبوا أسلحتهم محافظة عليه فلم يكن من (أوتون)
 إلا أن أمر بضرب عنق غلبا الذي توفي عن ٧٣ سنة بعد أن
 حكم ٧ شهراً .

— الملك أوتون —

لم يجلس الملك (أوتون) هنيئة على سرير الملك حتى استاءت العسكر الرابطة على الحدود الألمانية وعز عليها أن يتدخل الحرس الملوكي في عزل وتنصيب الملوك وفي تلك الأثناء كان قائدهم (فيتيلوس) يبذل لهم العطايا ويوزع عليهم الاموال لينصبوه ملكاً فلم يكن من جنوده الا أن احتقروا رغبات مجلس الشيوخ وقالوا ان لهم حقاً في تعيين الملوك كما للحرس الملوكي في رومية ولذا انتخبوا قائدهم (فيتيلوس) ملكاً وأعلنوا ذلك بكل وسيلة ثم ساروا بعددهم الكشيف الى ايطاليا لتثبيت اقدامه فلم يكن من الملك (أوتون) الا أن ذهب كالمح البصر الى تلك الجموع المتمردة لمقاتلتها وكان جيش الملك الجديد (أولوس فيتيلوس) يبلغ عدده ٧٠.٠٠٠ مقاتل على رأسه القائدان الباسلان (قالين) و (سيسينا) ولقد تقابل الجيشان في ثلاث وقائع كان النصر فيها حليف الملك (أوتون) ولم تنجل ثلاثة ايام حتى اتحد القائدان وقاتلا قتالا

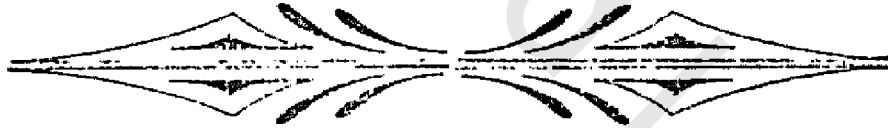
عنيفاً كانت نتيجه انكسار الجنود الماسكية وفوز الاتحاديين فلم يكن من الملك (أوتون) الا أن اتهم بعد أن حكم ثلاثة أشهر وخمسة أيام .

مهمته بغيره

﴿ الملك قيتيليوس ﴾

لما انتصر جيش القائد (قيتيليوس) اجتمع مجلس الشيوخ وانتخبه ملكاً في الحال فلما دخل هذا الملك الجديد رومية اعتبرها مدينة أخذها بحد حساء . فقام لها بقانون الفتح والاستعمار ودلت أعماله لاول وهامة على عدم صلاحيته للملك لانه ترك حبل الدولة على غاربها وانهمك في الملاذ البهيمية وصرف الاموال على كل ما غلا وطاب من المطعم والمشروب والمشموم وكان هذا الملك كثير الجشع في المأكولات مع النهامة الزائدة فضلاً عن اتصافه بالقساوة المتناهية . فثار جيش بلاد الشام وأبى الا أن يعين قائده (طيطوس فلاقيوس قسپيزيان) ملكاً وعليه قصد رومية فقتل ٣٠٠٠ جندي من الجيش الملوكي وفي تلك الاثناء كان الملك (قيتيليوس) ذليلاً كثير

البكاء واخيراً حاصر الجيش المحارب رومية حصاراً شديداً
 ودخلها بعد يأس فجع شوارع رومية أنهاراً من الدماء وقتل
 الملك ثم ألقى جثته في نهر (التيبر) ونودي بالقائد (طيطوس)
 فلاقيوس قسپيزيان (ملكاً سنة ٦٩ م .



قيصرية

(أسرة الفلاخ الملوكية)

﴿ ٦٩ — ١٩٢ م ﴾

تمهيد — حكم من هذه الاسرة العظيمة ثمانية ملوك لم يكونوا مباشرة من سلالة أسرة (جولياس قيصر) فان الملك (فاسپيزيان) مؤسس هذه الاسرة الملوكية وما تبعه من الملوك لم يكونوا الا من ييوتات وضيعة . ولقد كان الاعتقاد في تلك الايام أن الامبراطرة يجب حتما ان يكونوا من سلالة قيصر حيث أن جميع الملوك الذين حكموا الدولة من بعده حتى انقرض أسرة أغسطس كانوا من أقرباء جولياس قيصر غير أن الملك (فلاقوس فاسپيزيان) انتحل نفسه لقب (قيصر) الذي أصبح بعدئذ علما على كل امبراطور اتي بعده ولم يقتصر هذا اللقب على الملوك بل منح لاولياء عهودهم سواء كانوا ابناءهم حقيقة أو بالتبني ولهذا نرى أن هذا اللقب تحول عن

معناه الاصل الى معنى الملك أو القيصر أو الامبراطور وكما
تدل على الجلالة والعظمة وان يك الا لقباً لا حداً لبطال الذين
أسعدوا فلم تسمح الدنيا بامثالهم الا كل مثات من السنين وهم كذا
يفتخر المرء بكل نافع في الارض .

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على
كل شيء قدير توابع الليل في النهار وتوابع النهار في الليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من
من تشاء بغير حساب .

ولا يخفى ان الملوك الذين تبناهم اولاد مؤسس هذه
الاسرة اتحلوا لقبه ولقد كانت هذه الاسرة العظيمة كثيرة
المحامد جمة المناقب رفرف السلم بجناحيه على بقاع الدولة قرناً
كاملاً والناس في طمأنينة شاملة .

—————

﴿ الملك العادل فلاقىوس قاسييزيان ﴾

(٦٩ — ٧٩)

صرف الملك (فلاقىوس) همه في ترتيب الولايات

واستتباب الإمن فيها ونظم الجيش بوسائل الدهاء والحكمة ذلك لأن مركزه كان حرجاً مزعزعا لكونه من أسرة وضيعة فلم يكن من أعظم القوادح حتى يذعن الجيش لأمره ويستमित في طاعته ولم يستول على سلطات الوظائف الرومانية القديمة حتى يعمل بمجنات قوي وجأش لا تزلزله الزوابع ولا الاطواد الراسخات لانه لم يكن الا قائداً بأسلاً وأمثاله في عصره كثيرون .

ولذا اجتهد أن يحكم باستعانة مجلس الشيوخ ليسند ظهره وجعل الافراد متساوين امام القانون حتى انه جعل نفسه تحت طائلة عقابه اذا حاد عن الحق ثم أنه أزال وسائل الترف والتنعيم الذميمة الذي ورثه الرومانيون في عصر الملك (نيرون) فانه عاش معيشة بسيطة ليقتردي الناس به واحترم القانون فكان مثالا صالحاً لسائر رعيته التي عودها على حياة الكد والعمل وطرح الترف والكسل .

وفي عصره عين ولده (هيطوس) قائداً على تجريدة اورشليم فلم يكن منه الا أن حارب اليهود بشدة وضيق على مدينتهم الحصار ثم منع عنهم الاقوات حتى أكلوا أولادهم

وفشا فيهم البلاء ونزل بهم القحط وطم مستميتون في الدفاع
عن مدينتهم معتمدون على معونة الله سبحانه وتعالى في قهر
هؤلاء الاقوام وهذا بلا شك من أسطع الامثلة على بيع المهج
واراقة الدماء في سبيل حفظ سياج الوطن العزيز وأكبر
برهان على ما للاتحاد من قوة وبطش ومما ساعد اليهود على
اتحادهم حصول هذه الحرب في أحد أعيادهم المليية فكانت
أورشليم غاصة بجموعهم ولذا اتحدوا على اراقة دماهم في انقاذ
بلادهم وقبر عدوهم وكانت المدينة محاطة بأسوار عالية وبعد وقائع
حرية لا يسعها هذا المختصر المدرسي هدم (طيطوس)
الاسوار وفي تلك المعمة حرق هيكل سيدنا سليمان عليه وعلى
نبيينا الصلاة السلام سنة ٧٠ م ثم أن القائد (طيطوس) حكم
سيفه في رقاب من بقي من اليهود وصارت المدينة صعيدا واحداً
وحقق الله نبوة عيسي بن مريم القائل (لا يبقى جحر فوق
جحر في هذه المدينة) وبلغ عدد القتلى ٧٠٠٠ و ٧٠٠٠ والاسرى
١٠٠٠ و ١٠٠٠ وعلى ذلك تفرق اليهود في سائر بقاع العالم وانتشر
سقط وحدثهم وكثرت أغراض زعمائهم ودال ملكهم وغرب
عزم وبسط الهدوء والسكينة سرادقه الانيق على ربوع الدولة

وفي عصر الملك العادل (قاسم بن قاسم) ثارت الجنود
 المربطة على حدود نهر (الطونة) وسبب ذلك ان تلك
 الحامية المكونة من ثمانية فيالق كانت من قبيلة واحدة ولذا
 اضطر الملك الا يجعل تلك الفياق تقيم في نفس بلادها بل
 جعلها متفرقة بمعنى ان الجنود الاسبانية مثلاً كانت تحرس
 الحدود الشمالية والاخرون يحرسون البقاع الغالية
 وهلم جرا.

ومما يحكي عن هذا الملك انه لما دنت منيته ابى ان تفيض
 روحه وهو مضطجع في فراشه بل قال (ينبغي للامير ان
 ان لا يموت الا وهو واقف) فحزنت عليه الرعية حزناً شديداً.

﴿ الملك طيطوس ﴾

(٧٩ — ٨٦ م)

لما توفي الملك (قاسم بن قاسم) خلفه ولده الامير (طيطوس)
 الذي أخذ ثورة اليهود في عصر أبيه كما تقدم الذكر واقد
 اندمج تاريخ هذا البطل المغوار في تاريخ والده كما اندمج

تاريخ المغفور له ابراهيم باشا والى مصر في تاريخ ابيه الغازى محمد علي مؤسس الاسرة الخديوية .

وكانت الرعية تبهم الملك طيطوس قبل توليته الملك بالقسوة وحب الفتنور غير ان هذا الاعتقاد زال لما تربع على العرش لانه أظهر شهما واءاء وحباً للعدل والانسانية وحافظ على احساس شعبه حتى انه باعد معشوقته اخت (اغريا) ملك (چوديا) وكان قد أحبها حباً شديداً لرائع جمالها واعتدال قوامها ولم يقبل تغرعاتها فظهر ان الملك خلق عبد رغائب شعبه لا عبد سلطان النساء ويا حبذا لو كانت هذه العبرة تعتبر بها ملوك عصرنا الحاضر مثل ملك البرتغال المخلوع وساطان زنجبار وغيرهما . ثم ان الملك تخلى عن حاشيته التي كانت تحب اليه القبيح وكان لا يدع يوماً يمر من عمره بغير فائدة تعود على رعيته وحدث انه تقاعس يوماً عن النظر في مهام الدولة فقال (اني فقدت يوماً من عمري) .

وفي إبان حكمه هاج (بركان) ويزوف الذي دمر بلاد اقليمى (هيركيو لانيوم) و (يومبي) وكسا اديعهما رمادا وامتد على بعد ١٠٠ ميل وتوفي في هذه الكارثة العالم الطبيعى

(پليني) الذي دفعه حبه الغريزي الى رؤيـة اللهـب وتأثيره
فاختنق وحصل حريق في رومية اشتعل ثلاثة أيام أعقبه
طاعون جارف حصـد في يوم واحد ١٠٠٠٠٠ نسمة غير ان
الامبراطور خفف وقع هذه الالهوال وعوض على أصحابها
الخسائر وأعاد بناء تلك البلدان وأنشأ ملهى عاماً تعرض فيه
جميع الألعاب للاهالي بدون مقابل واندية لكل من يريد
الخطابة بغير حجر على الحرية وأوجد في رومية عموداً
يعرف باسمه

ولقد أصيب هذا الملك بحمى أودت بحياته وعمره ٤١
سنة بعد أن حكم سنتين وشهرين وعشرين يوماً .

— ❦ —

﴿ الملك دوميشيان ﴾

٨١ — ٩٦ م

(انقراض القياصرة المعروفين في التاريخ بالاثني عشر)
كان هذا الملك مختلف اختلافًا تاماً عن اخيه الملك
طيطوس فانه كان محباً لسفك الدماء غليظ القلب قاسي الطباع
وفي عصره فتح القائد (كايوس جولياس أغريقولا) جزيرة

بريطانيا . ونظراً لقساوة هذا الملك دبرت له مكيدة اغتالت
حياته الشقية سنة ٩٦ م وهو آخر الامبراطرة المعروفين في
التاريخ بالاثني عشر .

~~~~~

### ﴿ الملك نيرقا ﴾

( ٩٦ — ٩٨ م )

انتخب السناتو أحد أعضائه ( مرقص نيرقا ) ملكاً  
عقب قتل الملك ( دوميشيان ) وذلك نظراً لصدق وطنيته  
وحبه لبلاده وتعلق قلوب الاهالي به ومما يؤثر عن هذا  
الملك انه حكم بسكينة تامة ووقار أنسى الناس عهد تلك  
الجرائم والمآثم التي اقترفت في حكم سلفه غير ان الحرس  
الملوكي ثار وطلب محاكمة قتلة القيصر ( دوميشيان ) ولم يعبأ  
برغبة الملك الذي أراد حقن الدماء ومع كل فأنه تدارك هذه  
المسئلة بان تبني ( مرقص الپيوس طراغان ) قائد حدود نهر  
( الرين ) ليكون خلفه في الملك اذ توسم فيه القدرة على سحق  
الفتن وارهاب الحرس الملوكي فيما اذا أحدث يوماً ما حدثاً عاماً

وظال هذا الملك الحازم يحكم بالروية والثقافة حتى عجلت به  
المنية بعد أن حكم ستة عشر شهراً والفضيلة تبيكه والسلام يرثيه

### الملك الاعظم طراغان

( ٩٨ — ١١٧ م )

كان الملك طراغان أول قيصر أجنبي حكم الدولة الرومانية  
لأنه كان من إحدى الأسر الأسبانية التي أذاعت صيتها بكدها  
وأهلية رجالها العظام وكان الملك طراغان يعرف من أين  
تؤكل الكتف إذ جذب قلوب الرعية إلى محبته وحبب اليهم  
الحكومة الملوكية ولم تحصل فتن عقب توليته لأن الملك  
( نيرقا ) استخلفه وأقره الأجماع ولقد كان عصر الملك طراغان  
شبهها بعصر شباب الدولة العباسية إذ عمت الطمأنينة البلاد  
وزاد الرخاء وسن هذا الملك العادل ومن تبعه من الملوك سنة  
حسنة في تولية الملوك إذ كان كل واحد منهم لا يجعل خليفته  
من أسرته بل كان يتبنى أكفأ رجل في الدولة ليكون ولي  
عهده وبهذه الطريقة لم تصر الدولة ملكاً عضدوداً وكان هذا

الملك يأنف العظمة الملوكية وفي عصره بنيت مدينة ( انكونة )  
وانشئت طرق عسكرية .

وكان القيصر طراغان محبوباً عند رعيتة حتى انه كان  
يسير في غدواته وروحاته منفرداً وقلوب الاخلاص تحرسه  
وكثيراً ما كان يمشي في شوارع رومية مع الملكة زوجته بدون  
حرس ملوكي وكان يختلط بسائر طبقات الناس ويحدث  
الامير والصلوك ولذا تفاني السناتو والاهالي والعسكر في  
الاخلاص لسيده وباعوا مهجتهم في ارضائه لانه عظم نواب  
الامة ومنحهم مطلق الحرية وعامل الاهالي بالرافة والرحمة  
وانشأ لهم كثيراً من المباني الجميلة والملاهي والمكاتب وقصوراً  
للمحاكم النظامية .

وأرضي الجند لانه كان يتقدمهم ويكافيء القواد الذين  
يحترمون جنوده ويأتون بالاعمال النافعة لخير بلادهم .

وما انبثق عام ١٠١ م حتى سار الملك طراغان بجيشه  
المنصور وعبر نهر ( الطونة ) ثم حاصر بلاد — داشيا — لان  
أهلها كانوا خطراً على الحدود ثم أنه أنشأ مديرية جديدة من  
تلك البلاد التي كان يدخل في نطاقها السهل الواقع ما بين

هر الطونة وجبال — كاريثيان — المكون الآن لمملكة  
رومانيا وبلاد المجر وكلز الملك طراغان محبا للغزوات والفتح  
والاستعمار شأن القواد الماهرين والملوك الحريين اذ يذكرنا  
هذا بغزوات السلطان العثماني محمد الثاني الفاتح والسلطان  
سليم الاول والسلطان سليمان القانوني اذ بتسييرهم الجنود  
وهم على رأسه باعث قوي على تحريضهم على الاستماتة في القتال  
ولذا نرى أن ضعف الدولة ينشأ غالباً من اقبال ملوكها شهود  
المعارك الحربية وهذا ما يذكرنا بخلفاء صدر الاسلام وأعمال  
نابوليون بوناپرت ومحمد علي باشا في أوائل القرن التاسع عشر  
وفي سنة ١١٤٤ م سار الملك طراغان الى بلاد أرمينيا بقصد  
غزوها فاستولى عليها وعمل بعثة حربية عظيمة للتغول في فتح  
البلاد الشرقية ولما آنس في نفسه الفتور واستشعر بدنو أجه  
أمر أن يحمل على سفينة الى مدينة ( سيليشيا ) وما قدمها حتى  
عاجلته المنية سنة ١١٧٧ م بعد أن وصل الى خليج العجم وعمره  
٦٣ وأحرقت جثته كمادة الرومانيين وأخذ رمادها حيث دفن  
تحت عاموده !!

﴿ الملك هيدريان ﴾

( ١١٧ — ١٣٨ م )

لما ترفى الملك طراغان في غير وصية رأت زوجته الملكة ( يلوطينا ) أن تحسم ما سيحدث من القلاقل والفتن الداخلية التي كثيرا ما يندلع لبيبها عقب وفاة كل ملك فأشاعت عند احتضار زوجها بأنه تبني ( طراغان هيدريان ) حاكم سوريا فصدقها الجند ولقد كان الملك ( هيدريان ) محباً لحقن الدماء فترك مشروع سلفه ( وهو غزو البلا الشرقية والتغول في البلاد الهندية لنيل صيت اسكندر المقدوني ) اقتصاداً للمال والرجال وفي عصره تفرق اليهود شذر منذر في جميع بقاع الارض ودال ملكهم المشمخر لان الملك هيدريان استباح نفوسهم ودمر مدينة اورشليم حيث استشهد فيها ٦٠٠٠٠٠ يهودي وباع كلاً غنام من بقي منهم وابتنى فوق اقتاض اورشليم مدينة ( ايليا كاپتيولينيا ) ثم أن الملك صرف همه في عمل سياحات لزيارة المديرية الرومانية ليتأكد بنفسه

من حكمها بالعدل ويراقب تطبيق مواد القانون الذي جمع في مجلد واحد وفي سياحاته زار الديار المصرية التي خلدت له هذه الذكرى بنقش صورته على بعض المسكوكات الحديدية وابتنى سداً في شمال جزيرة بريطانيا لمنع هجمات متوحشي اسكوتلاندا وأمر بتدريب جنوده على التعليلات العسكرية ليكمنوا مستعدين للقتال كلما استدعى الحال وقسم وظائف الدولة الى عسكرية وملكية والاخيرة الى موظفي الحكومة ورجال المعية الملوكية .

وهذه السياسة الحكيمة أصبح الملك نموذجاً حسناً لمن تبعه من الملوك وكان يعتبر نفسه ملك ملوك العالم قاطبة وكانت الرعية في سائر بقاع الدولة راتعة في بحبوحة الرفاهية ولذا دعى بمصلح العالم وكان هذا الملك لا يخاف في الحق لومة لائم محبا استكناه أسرار السواد الاعظم وبديهي ان هذا يذكرنا بعهد أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه كان يتعسس بنفسه ويتفقد الاحوال تحت جناح الليل البهيم شأن كل حاكم دستوري .

وتوفي هذا الملك الكريم والمصلح العظيم سنة ١٣٨ م

والسلام ينعيه والمرؤة تبكيه والرعية تراثيه .

— الملك أنطونيوس —

١٣٨ — ١٦١ م

لما توفي الملك ( هيدريان ) قام بالامر بعده ولي عهده الملك ( أنطونيوس ) الذي تبناه هيدريان وان لم يكن رومانيا صميا فانه من بلاد الغالة .  
ولقد حذا هذا الملك الكريم حذو سلفه فكان محبا لرعيته متفانيا في اسعادها ببدأ السلام ولذا لقب ( بالوالد الرحيم بأمته ) وكان أنطونيوس يحب ( هيدريان ) حبا جما حتى انه انصاع لامر دونه فغائبه لانه حثه بأن يستخلف من بعده ( مرقص أوريليوس ) ثم ( لوسيوس قيروس ) وكان عمر الاول سبعة عشر عاما والثاني سبع سنين وأخيرا زوج الملك أنطونيوس ولي عهده ( مرقص أوريليوس ) بكر عته ثم انه اعتنى بتدريبه على الحكم فأثمرت تربيته فاينعت الفضيلة مجسمة في شخص مرقص أوريليوس الذي لا نرى ان قلنا إنه أحسن ملوك الدولة الرومانية عقلا وخزما على الإطلاق .

﴿ الملك مرقص اوريليوس ﴾

٦١ — ١٨٠ م

لما توفي الملك ( انطونيوس ) صعد على العرش ( مرقص اوريليوس ) الذي أشرك معه في الحكم ( لوسيوس قيروس ) وكان الاول من أسرة قديمة عريقة الحسب والنسب والثاني ابن كودوس الذي تبناه القيصر ( هيدريان ) ليكون خليفته من بعده غير ان المنية عاجلته فتبني انطونيوس على نحو ما قدمنا وبالرغم من كون ( اوريليوس ) هو الحاكم الفرد الا انه أشرك معه قيروس وأعطاه نفس ماله من السلطة فكانت رومية محكومة بملكين مختلفي الافكار فكان اوريليوس مثال السكّال والعدل والآخر غيباً ظالماً مبذراً واشتهر الاول بحب العدل وكان فيلسوفاً عظيماً ومؤرخاً كبيراً زاهداً يتقشفاً متضلعا من الآداب الراقية وعلوم الفلسفة العليا . كتب ما يعتقد عن الحياة الحسنة والسعادة المنشودة في رقي الامم .

وفي عصر هذين الملكين اعتدى الجرمان على الحدود فاجتازوا التخوم وعيشوا بالاراضي الرومانية الواقعة على نهر

الطونة و اعلى نهر الرين وسبب ذلك ان ( السلاف ) وهم  
سكان روسيا اعتدوا على الالمان الذين فروا من وجههم الى  
أراضي الرومان . فلم يكن من القيصر ( اوريليوس ) المحب  
للسلام الا ان ترك منضدة العلوم والمعارف وساق جيوشه الى  
ميدان الوغى حيث طرد هؤلاء المغيرين وفي تلك الاثناء  
هجم العجم على الحدود الرومانية الشرقية وهاج اهل (الپارت)  
تحت قيادة ملكهم ( قاوچيسوس ) الذي هزم الجنود الرومانية  
المعسكرة في ارمينيا ودخل بجيوشه ظافرا في بلاد سوريا  
فارسل الملك اوريليوس شريكه الملك ( قيروس ) الى تلك  
البلاد ومعه جيش كثيف لاختضاع الخوارج ورد شكيمة  
الاعداء فلم يكن من ( قيروس ) الا أن ترك الامر لضباطه  
وانعكف على الرذائل غير ان قواده هزموا الاعداء وحرقوا  
( بابل ) واستولوا على خزائنها وهدموا قصر ملك (الپارت)  
وأخضعوا مملكته غير أن قيروس نسب هذه الانتصارات  
الباهرة الى مجهوداته وحسن قيادته ورجع الى رومية لتحتفل  
بنصرته وأخيرا اتبع المظالم والمفاسد وكثيرا ما كان اوريليوس  
يزجره ثم زوجه بكريمته ( لوسيلا ) وكانت بارعة في الجمال

وكان مقصده من ذلك ان يتبع الهدى وينبذ الاسراف ويقتصد  
 في افعاله غير ان فيروش لم يزد الاعتوا وغرورا حتى توفي  
 سنة ١٦٩ وعمره ٣٩ سنة بعد أن حكم ٩ سنوات . فصفا الجو  
 للملك ( مرقص اوريلوس ) الذي لما رأى نفسه قد انفرد  
 باعباء الملك ازداد نشاطاً وامتاعاً في الامور ووطد دعائم السكينة  
 في سائر بقاع الدولة غير ان النصارى اضطهدت اضطهاداً شديداً  
 في عصره وحدث ان تأمر على قتله فظهر حليماً وعفا عنهم  
 وكان دائماً يتزعم بهذه الجملة الذهبية ( ما أسعد الناس لو كانت  
 فلاسفتهم ملوكاً او كانت ملوكهم فلاسفة )

يبد ان هذا الملك الجليل لم يظفر بقليل من الراحة حتى  
 أخبر بهجوم البرابرة على الحدود الشمالية فجهاز مرة أخرى  
 جيشاً عرمرماً سار به لاختضاع هؤلاء الاقوام الذين اصبحوا  
 داء ويلاً وخطراً عظيماً على وحدة الدولة وطلب من مجلس  
 الشيوخ أن يمنحه الاموال اللازمة من الميزانية العمومية  
 لينفق على الجيش ثم انه ظل ثلاثة ايام متوالية وهو يلقي على  
 الاهالي الدروس الحكمية في خطبه الرنانة مظهراً لهم كيفية  
 سبل المعيشة الحسنة وبعدئذ سار بجيشه والعيون ترعاه

والقلوب تدعوا له فكان عازما على اخضاع الالمان وإدخال بلادهم ضمن المستعمرات الرومانية غير انه اصاب بالوباء لانتشاره في ذلك الوقت من جراء تهاون الملك ( فيروس ) فانه لما رجع من آسيا نقل جيشه جراثيم الوباء الى أوروبا .

واستشهد الملك اوريليوس في مدينة ( فينا ) ومما يؤثر عند وهو محتضر انه قال لجنوده ( سيفقد ولدي كمودوس أباه ولكني أرجو أن يرى فيكم آباء عديدين ) ثم انه أسلم الروح لباريها سنة ١٨٠ م وعمره ٥٩ سنة وبموته ماتت الفضائل الرومانية واندثرت المكارم وعمت الفتن انحاء الدولة وعظمت شوكة الجيش واضطربت أحوال المديريات وهدد كيان المملكة متوحشو أوروبا .

وانقطعت سلسلة الملوك النافعين وأصبحت الدولة الرومانية تحت رحمة الأعداء !

### ﴿ الملك كمودوس ﴾

لما استشهد القيصر ( أوريليوس ) خلفه ولده الملك كمودوس الذي ترك حبل الدولة على غاربها وأظهر أن النار حقيقة لا تلد الارمادا ويخرج الميت من الحي فانه كان على

عكس أخلاق آبيه إذا انعكف على الملاذ البهيمية والملاهي  
بينما كانت حكومته العوبة تعمل بمشورة الجيش الذي ادخل  
في صفوفه ٣٠٠٠٠ من أبناء الدخلاء والاعداء وهم متوحشو  
أوربا فاطلعوا أممهم على ما ترمي إليه السياسة الرومانية  
وكيفية الطرق والاجراءات الحربية وكان هذا الملك يحب جمع  
المال بأية وسيلة حتى أنه صادر الأغنياء وباع المناصب ووظائف  
الحكومة وأرهق الشعب بالضرائب الثقيلة وأخيرًا قتله خدمته  
سنة ١٩٢ ففرح فيه الشعب فرحاً عظيماً وبذلك انقضت  
أسرة الفلاق فانتخب السناتو أحد أعضائه المدعو ( پرتيناكس )  
ملكاً وكان عادلاً حازماً واسع المعلومات غير أن الحرس  
الملوكي ثار عليه فقتله بعد أن حكم ثلاثة أشهر ومن ثم أصبح  
الجيش يولى من يشاء ويعزل من يشاء من القيصرية بينما  
البرابرة يجمعون شملهم لغزو هذه الدولة العظيمة وإن  
كانوا أعداء بعضهم بعضاً وكان من هؤلاء الأقوام قبائل  
( الفرنك ) وكانت تسكن وراء نهر ( الرين ) والغوط  
والقيزيغوط تقطنان خلف نهر الطونة والمانيون بجوار قبائل  
القوط وسبحان وارث الأرض وما عليها .

# تاريخ الدولة الرومانية

في المدة الأخيرة

— ملك (١) العسكرية —

﴿ ١٩٣ — ٢٨٤ م ﴾

منذ ان قتل القيصر — برتينا كس — أصبح الجيش  
صاحب الامر والنهي في الحكومة وظلت سيطرته عالية  
قرنا كاملا حتى أن القياصرة كانت تنتخب بمحض إرادته  
غير مبال بارادة الامة المشخصة في مجلس نوابها ذلك المجلس  
الذي أظهر لنا في كل أطواره خضوعا عمى لكل جبار عنيد فطالما

(١) من أراد التوسع قليلا فليراجع مختصر العلامة  
الدكتور جولدميت « تاريخ الرومان » صحائف ٢٧١ —  
٢٩٠ إذ نحن هنا مقيدون بالبرنامج مضطرون الى الاختصار  
مع ترك كثير من الحوادث

أمر بقتل وقذف كل ملك انتصر عليه من هو اقوى منه عددا  
وعددا وانضم بكتنا يديه الى الفاتح القاهر ولذا نرى أن  
هذا المجلس قد ترك الحكومة فوضى في ايدي زعماء الجيش  
الذي اختلفت آراء قواده وتباينت مطامعهم حتى قرروا  
نهائيا الا يكون القيصر الا من رجال العسكرية مما اضطر  
الفيلسوف العظيم والمؤرخ الشهير ( مرقس أوريليوس ) الى  
صرف ايامه مرغما في ميدان الوغى والتدرب على التعليمات  
العسكرية ليجمع بين مزيقي السيف والقلم ولقد عظم نفوذ  
الحرس الماوكي اذ قتل القيصر ( پرتينا كس ) بلا مبالاة على  
نحو ما قدمنا ثم ان القضاة عرضوا مركز الملك لمن يقدم على  
مشتراة بثمان عظيم حتى ان احد اعضاء السناتو وهو المثري  
الشهير ( ديدوس چوليانوس ) ابتاعه فلما علمت الامة بذلك  
ازدرت بالملك وقام الجيش المرابط على الحدود ثم قتل القيصر  
( چوليانوس ) بعد ان حكم ثلاثة شهور وبعد مناوشات بين  
القواد انتصر عليهم القائد الباسل ( ستيتموس سثيروس )  
وكان قائد الجيوش ييلاد ايليريا

## الملك سقيروس

( ١٩٣ - ٢١١ م )

كان الملك سقيروس دخيلا لانه كان من قواد افريقيا فلم يعنيه سعاد رومية او شقت اذ لم يبال بسطوة الامة ولا بمجلسها ولذا حكم بالعرف والشدة وأظهر حبا كثيرا للجيش ليكتسب محبته كي يستعمله في قضاء ما ربه ولذا زاد في عاقبته ومرتباته وجعل رجاله اصحاب النهى والامر والكلمة العليا في الحكومة وجند رجال الحرس الملوكي من اقوياء عموم جال الجيش الموزع في سائر بقاع الدولة بعد ان كان هذا الحرس لا ينتقى الا من اهل ايطاليا وجعل عدده ٥٠٠٠٠ مقاتل تامة السلاح حسنة الهندام فاصبحت رومية تحت رحمة هؤلاء المؤجرين وكان قصد هذا الملك ان يكون حرسه شديدا يتغلب به على قواد الجيش الرابطين في اطراف الدولة فيما اذا ثاروا وعلى ذلك بقي مجلس الشيوخ كمية مهمة واستهزئت برغبات الامة .

وفي عصر هذا الملك اضطهدت النصارى اضطهاداً شديداً وأغار أهل البارت أو قدماء الفرس على بلاد العراق فسار اليهم هذا الملك وهزمهم شر هزيمة واستولى على المدائن وبابل .

ومما يؤثر عن هذا الملك أنه لما استتب الأمن أظهر فضائل حسنة وتبدلت خشونته الى لين وتواضع وأفسح صدره الى مقابلة الادباء ومجالسة العلماء .

وحدث ان اهالى إيقوسيا وهم الاسكوتلنديون ثاروا وتعدوا على الحدود الرومانية في جزيرة بريطانيا فذهب هذا القيصر لاختضاعهم واعادة الامن الى انصابه غير ان المنية لم تمهله فتوفي في مدينة ( يورك ) سنة ٢١١ م .

### ﴿ القيصر كرا كلا ﴾

٢١١ — ٢١٧ م .

لما توفي الملك سثيروس بريطانيا خافه ولده الملك كرا كلا وكان رجلاً جباراً وحشي الطباع حابي كثير اطائفة العسكرية وقتل اخاه وشريكه في الملك القيصر — غيتا — لان الاول

كان فاضلا متواضعا دمث الاخلاق بينما كان الاول فظلا متعجرفا لثما قتل ٠٠٠ ر ٢٠ ظلما وعدوانا بدعوى انهم من انصار الملك غيتا .

ولما رأى هذا الملك ان رومية لا تسد طمعه من السلب والنهب وان عدد سكانها لا يكفي ما يريد من ازهاق الارواح والتعذيب والضرب عجل بعمل سياحات الى الاقاليم الرومانية واصطحب معه الحرس الملوكانى .

فكان هذا الملك ظلما في كل مكان اذ خالف سنن من سلفه من القياصرة الظالمين الذين لم يتعد ظلمهم رومية . ومما يروى عن هذا الطاغية انه لما زار مدينة اسكندرية هجاء بعض سكانها فاستاء وعزم على ابادة سائر سكانها تأديبا لهم على قبحهم وازدرائهم بشخصه فدعاهم الى وليمة خارج أسوارها ثم انه امر رجال حرسه الملوكانى بقتل من أجاب الدعوة وكل من تعدي أسوار المدينة .

وكان هم هذا الملك جمع الثروة بأية طريقة كانت ليوزعها على جنوده الذين كانوا كلما عاونوه في شيء بذل لهم العطايا والتحف النفيسة وزاد في الضرائب حتى أرهاق الاهالى .

وفي حكم هذا الظالم منح الجنسية الرومانية لسائر رعايا دولته بمعنى أن الايطالي والسوري والمصري أصبحوا بنعمة الجنسية اخوانا لا يفضل احدهم الآخر . فقرحت الرعايا المختلفة وسبحت بحمد هذا الملك اذ زالت ما تمتت منذ عدة قرون .

والحقيقة التي لا ريب فيها ان القيصر ( كرا كلا ) لم يقصد من فعله هذا محض الخير والعدالة وانما قصد تعميم الجنسية ليصير المصري رومانيا له من الحقوق وعليه ما على سكان مدينة رومية أنفسهم لكي يدفع نفس الضرائب الثقيلة للقيصر بطريقة ساحرة شريفة ليتوصل بها الى جمع الثروة العظيمة والاموال الطائلة وايداعها في جيوب طائفة العسكرية والتاريخ يعيد نفسه فقد علمنا في صدر هذا الكتاب ان ( كايوس غراكوس ) طالما جاهد في سبيل تعميم الجنسية الرومانية فباء بالخسران وفشل المساعي فأتى هذا القيصر منفذا لاقتراحه فأصبحت الدولة من جرّاء هذا التعديل متماسكة الاطراف وصار كل فرد ينباهي بأنه روماني وانتشرت الحضارة الرومانية في سائر بقاع الدولة وأصبحت الشعوب

الهمجية تقارن نفسها بساداتها الرومان فمثلا ان — داشيا —  
التي افتتحها القيصر ( طراغان ) أصبح سكانها يقارنون أنفسهم  
بالرومان المستوطنين في بلادهم فكان كل واحد منهم يدعو  
نفسه بالروماني كالروماني المتحضر الصميم وما وافي عام ٢١٧  
حتى قتل القيصر ( كراكلا ) بعض أعوانه ( ١ )



( ١ ) قام بالامر بعد كراكلا قيصران على التعاقب لم  
يأتيا الا بكل قبيل .

وعزير علينا ان نزرع القاريء باسماء لم يكن أهلها الا  
عالة على الهيئة الاجتماعية ! !

## القيصر أسكندر سفيروس

٢٢٢ — ٢٣٥ م

أصبحت طائفة العسكرية تولى من تشاء وتعزل من تشاء من القياصرة وكان أهون شيء عندها أن تقتل القيصر بين صفوفها وتنتخب في الحال غيره ليصادق على أفعالها الذميمة وفظائعها المتناهية وبمجرد ما يثبت الملك على العرش يقتلونه ويعينون غيره ليحبذ عملهم ويبرر فظائعهم وعلى ذلك فنحن لا نصدع آذان القاريء بحفظ أسماء كثيرة لم تعمل عملاً نافعا وما كنا لندون العاطلين .

ومن أحسن الملوك الذين اتجبتهم العسكرية القيصر (اسكندر سفيروس) إلا أنه كان قاصرا فأقيمت والدته وصية فكانت نعم المرأة اذ طردت من حاشيتها من لا خلاق لهم وبثت في نفس ولدها الملك حب العدل حتى أنه لما بلغ سن رشده أمر بتنقيح سائر القوانين وكافأ العلماء وجعل الوظائف

في أيدي الأمانة المستقيمين .

ومما يؤثر عنه أنه خصص ساعة معينة كل يوم لفتح أبواب قصره لمن يريد الدخول من رعاياه بدون قيد لبيت إليه الشكوى ويخفف عنه البئوى وكان يقف مناد على باب القصر صائحاً ( لا يدخل هذا القصر المقدس الا كل طاهر القلب سليم النية ) .

وفي عصر هذا الملك العادل حدثت ثورة عظيمة في آسيا ومنشأ ذلك ان ( ارتخشار ) أحد الفارسيين ادعى بانه من نسل ( كيروش ) فحارب اهل ( البارث ) وقتل ملكهم خديعة الرومانيين وأُذّر الرومان بالجملاء العاجل عن الاراضي الآسيوية والا أشهر عليهم الحرب وأذاقهم كأس الحمام . فلم يكن من القيصر ( اسكندر سقيروس ) الا أن سار الى هذا الزعيم المهيج بجيش كثيف ألحق به الهزيمة والانكسار .

ولما رجع هذا الملك الى رومية حاول عبثاً أن يوقف خطر رجال العسكرية فكثيراً ما بغوا وظلموا وانتهكوا الحرمات وأتوا بالمنكرات ولم يعبأوا بالملك وسطوته وذلك لتضامهم وكثرة عددهم وأخيراً تدمروا من مراقبته لهم ومعاقبته الشديدة

لأفرادهم ولذا تآسروا عليه فانتبهزواخرووجه ليوقف خطر الألمان  
فقتله جنده وبعض نفر ممن أحسن اليهم وذلك بالتقرب من  
— نهر الرين — ثم رجعوا فقتلوا والدته المدبرة الحكيمة  
سنة ٢٣٥ وهذا الملك هو آخر سلسلة القياصرة الملقبين  
بالأفريقيين والحقيقة أن هذا الملك كان قد أذل طائفة العسكرية  
وعلمها كيفية الطاعة العمياء للملوكها وبعد موته ظلت الدولة ٣٣  
سنة والكرسي الملوكي مزعزع الأركان يصعد عليه قوم صفة  
لأخلاق لهم : —

وانما الأمم الاخلاق ما بقيت  
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا



## اغارات الالهام المتبربرة

لما أصبح الجيش منقسماً الى أحزاب وتفرقت كلمة امرائه وقصرت وظيفته على تنصيب وعزل القياصرة وتداخل فيما لا يعنيه واتبع الملاهي فقد الحمية وانزعجت منه الشهامة بينما كانت الاعداء تتأهب وتجمع شملها والجيش الروماني نائم عن مقاومة تلك القبائل الألمانية التي عيشت يالاً من العام عند الحدود الشمالية وكان من بين هذه القبائل المتألبة — الفرنك — الذين سكنوا في الغالة وأطلقوا عليها اسم فرنسا نسبة لهم — ثم قبيلة ( الغوط ) غير ان العجم أزعجوا الحدود الشرقية فأصبحوا خطراً دائماً فبعد أن كانوا متفرقين لا وحدة لهم اذ قضي على استقلالهم اسكندر المقدوني ثم وقعوا في ايدي مملكة ( البارث ) وهم قدماء الفرس الذين حاربوا الرومان كثير حتى وقعوا في مخالبتهم كما علمنا غير ان القائد الفارسي المدعو

( أردشير بابك ) مؤسس الدولة ( الساسانية ) حرر رقاب  
الأعجام سنة ٢٢٦ م وأنشأ دولة فارسية شديدة القوى خافها  
مجاوروها .

وعلى ذلك أصبحت حدود نهر الرين والبطوننة وبلاد آسيا  
تحت رحمة الأعداء ففي أوروبا كانت قبائل الفرنك والألمان  
والغوط والمان والثاندال وفي الشرق العجم ولسوف يتلوها  
العرب وسبحان الحي الدائم .



فلم يكن من حكومة رومية الا أن عزمبت على سحق  
هؤلاء الأعداء الألداء وإعادة الأمن الى نصابه واني لها هذه  
البغية ورجال جيشها مأجورون دخلاء لا يعطفون على رومية  
الا طمعاً في الاستيلاء على أجورهم وفقد الجيش تلك الحماسة  
المعروفة والاقدام المشهود له الذي فتح البلدان وأعلى كلمة  
الرومان ولقد ظلت الجيوش الرومانية منذ سنة ٢٥٠ م وهي  
تتقهقر بانتظام تام أمام الأعداء حتى أوائل سنة ٢٦٧ م .  
ومما حدث في هذه الفترة ان ( الغوط ) قتلوا في إحدى

المعاصر القيصر — ديشيوس — فاضطر ولد القيصر (غالوس) أن يدفع لهم جزية سنوية ليكفوا عن القتال وهذا منتهى عجز حكومة رومية عن جمع الشمل وإصلاح ما أفسد الدهر ولم تهدأ رومية قليلاً حتى هجم (الفرنك) على الغالة وبلاد الانسيان وأوقع الغوط النهب في بلاد اليونان وآسيا الصغرى واستولى العجم على بلاد أرمينيا فاضطر الملك (قاليريان) أن يذهب بنفسه إلى بلاد الشرق ليوقف هذا الخطر العظيم سنة ٢٥٣ م غير أن العجم هزموه سنة ٢٦٠ م وأخذوه أسيراً ويحكى أن ملك العجم (سابور) كان يستعمله كرسيًا ليركب جواده وكان يسوقه مكبلًا بالحديد وأخيراً قتله ثم حنطه ودبغ جلده ووضع في أحد المعابد الفارسية ثم صعد (غاليانوس) بن هذا القيصر التمس على العرش سنة ٢٦٠ — ٢٦٤ م وما تولى حتى انفتح باب الفساد والفتن إذ نصب كل جيش قائده امبراطورا فتعددت الملوك حتى بلغ عددهم ١٩ في آن واحد والقيصر (غاليانوس) غارق في ميادين الملاذ والملاهي فلم يشغل باله فيما يعود عليه بسوء العاقبة ولم ينتقم من الفرس على تعذيب والده وانبنى على ذلك فقدان رومية حكومتها الأهلية.

ولما قتل القيصر ( غالينانوس ) صعد على العرش القائد  
الباسل والأسد المغوار ( قلوديوس الثاني ) وكان من أهل  
( ايليريا ) وأول شيء عمله أن طرد الغوط وأباد جيشهم  
وأغرق أسطولهم البالغ عدد قطعه ٢٠٠٠ سفينة وأخذ من بقي  
أسرى ثم فرقهم على جنوده فأصاب كل واحد ثلاثة أرقاء ولم  
يستقر هذا القيصر السياسي الماهر قليلاً حتى توفي بالطاعون  
سنة ٢٧٠ م . ثم خلف هذا الملك ولي عهده ( أوريليان ) سنة  
٢٧٠ - ٢٧٥ وفي مدة هذا القيصر تنازل عن بلاد — داشيا —  
للغوط لأنها كانت كثيرة النفقات قليلة الخيرات وقهر  
قبائل الغوط والقانдал والماركومان وكانوا يسكنون بلاد  
بوهيميا ثم انتصر على الزباء ملكة ( تدمر ) في واقعتي انطاكية  
وحلب اللتين يشيب لحولها الولدان وقع ثورة أهل الغالة وفي  
عصره اضطهدت النصارى اضطهاداً عظيماً وأمر بقتل القساوسة  
والاساقفة والمطارنة وكان يتأهب لمحاربة الفرس وانتصر هذا  
الملك على سائر القواد فجعل الدولة تحت سلطته واتحدت  
كلها خوفاً لاعداء نوعاً ما .

ثم أن القيصر ( أوريليان ) تأمر عليه خدمته فقتلوه

نخلفه ملك مغلوب على أمره لم يلبث حكمه سوى أربعة شهور  
ثم خلفه القيصر — ( پروبوس ) — قائد الجيش ببلاد الشرق  
فكان أسداً صنديداً حفظ الدولة من إغارات الأعداء المتبربرة  
إذ قتل في عصره منهم ٤٠٠.٠٠٠ مقاتل ورد إلى الدولة ٧٠  
مدينة كان سلبها هؤلاء الغاصبون وقتل بدون رحمة كل محرض  
على الثورة حتى أخذ أنفاس الأعداء وجعل للدولة روتقاومها به  
عظيمة فهادنه الفرس وكان يتصرف في أموال الأمة في كل ما  
يعود عليها من المنافع العمومية فلم يكن مسرفا وشغل الجيش  
في أوقات السلم في شق الترع وتخصيب القلاع وزراعة  
الأراضي ولذا تدهر رجاله فقتلوه مبكيا عليه من أمته سنة ٢٨٢  
وبعدئذ كثرت تولية وخلع القياصرة إلى أن جالس على التخت  
القيصر ( دقلديانوس ) سنة ٢٨٤م



## تقسيم الدولة الرومانية

تمهيد — في سنة ٢٨٤ م انتخبت طائفة العسكرية القائد ( دقلديانوس ) امبراطوراً وكان يبلغ من العمر أربعين عاماً. وقد تدرب كثيراً في وظائف الحكومة اذ عين قنصلاً في عهد القيصر ( پروبوس ) ثم قائداً للحرس الملوكي ولم يكن هذا الملك إلا من أسرة حقيرة غير ان مهارته وفروسيته كانتا شفيعتين في إدراكه، نصحت العلاء ولما جلس القيصر ( دقلديانوس ) على تخت الملوكية وجد عرشه مزعزع البنيان محفوفاً بأخطار حمة وذلك لان الامم المتبربرة أزعجت الحدود وأتت بالكبائر فضلاً عن كون الامبراطور أصبح في أيدي الجنود العوبة كريشة في مهب الريح لا تستقر على حال .

فأحب هذا القيصر البصير ان يزيل هذه الاخطار المحدقة به من كل صوب ويسير بالدولة شوطاً بعيداً واني يتيسر له ذلك وهو تحت رحمة زعماء الجيش فارتأى ان يشرك معه في اعياء الملك اناساً غيره لتوزع المسؤولية فلا يصبح مهتداً في

كل لحظة أو مشروع لا يروق في أعين القواد معرضاً للعزل والقتل دون سواه . لانهصار المسئولية في شخصه . فانتخب من ضباط الجيش القائد الباسل ( مكسيميان ) ومنحه لقب أغسطس وسأواه بنفسه في سائر الحقوق والامتيازات الملوكية وأمره ان يقاتل قبائل الفرنك والألمان والبرغند فانتصر عليها وحطم قواها وفي تلك الاثناء نادى الجيوش المعسكرة بجزيرة بريطانيا بالقائد ( كرسىوس ) امبراطوراً ثم ان القيصر ( دقلديانوس ) اشرك في الحكم ايضاً كلاً من القائدين ( غاليريوس ) و ( قنسطنطيوس كلوروس ) ومنحهم لقب قيصر وعلى ذلك أصبحت الدولة ذات أربعة ملوك فضل بعضهم على بعض درجات فكان ( دقلديانوس ) و ( مكسيميان ) يدعوان بلقب أغسطس دليلاً على مالهما من القوة الملوكية التي لا تعارض اما القيصر ان الآخر ان فكنا أنزل منها درجة غير انهما رشحا لوظيفة أغسطس في حال ما اذا توفي احد الاولين ثم ان الدولة قسمت بين هؤلاء الملوك الأربعة اما ( دقلديانوس أغسطس ) فكان من نصيبه بلاد مصر وآسيا الصغرى و تراس و ( مكسيميان أغسطس ) حكم بلاد

إيطاليا وأفريقيا وتركت إقليم نهر الطونة في أيدي (غاليريوس قيصر) وأعطى (قنسطيوس قيصر) بلاد الغالة وبلاد إسبانيا وجزيرة بريطانيا وهو والد الأمير قسطنطين صاحب القسطنطينية .



بهذا التقسيم الإداري وزعت السلطة بين هؤلاء الحكام الذين قضوا على سائر الفتن والاضطرابات وقلموا أظافر الدسائس واقتلعوا الثورات من جذورها فرجعت الأمم المتبربرة القهقري وقام كل ملك يحصن القلاع ويقيم الشكنات المنيعة حتى أصبحت الحدود الشرقية عزيزة الجانب ذات قلاع شديدة وصارت التخوم الشمالية الواقعة على نهري الطونة والرين منظمة الشكنات كثيرة القلاع قوية الحصون صعبة المعاول . فتنازل الفرس عن بلاد أرمينيا وأراضي ما بين النهرين بالعراق .

فأسدلت السكينة سرادقها الانيق على سائر ربوع الدولة وغردت بلابل السلام علي أفنان الصفاء وعم الرخاء صروح

البلدان وأصلحت الإدارة وردت شكيمة العسكرية لاتحاد هؤلاء الحكام الضاد في النزعة تخافهم الجند وهماهم القواد الذين علموا أن لا فائدة تجنى من قتل ملك دون آخروا منهم بلا ريب لو أقدموا على التمثيل باحدهم ناجده الآخرون وقاموا قومة واحدة فيذيقونهم بما كسبت أيديهم الاثيمة جزاء وغاقا من صنوف العذاب العظيم ولذا خضعوا خضوعاً تاماً لملوكهم فنبذوا الرعونة والتدخل البارد في شؤون الحكومة. وحدث أن عامل الرومان على مصر المدعو ( اخلْيُوس ) استبد بها فذهب اليه ( دقلديانوس ) وحاصر مدينة اسكندرية حصاراً شديداً مدة ثمانية شهور حتي سلمت جوعاً ثم استولى عليها .



وانبنى على هذا النظام وذلك التقسيم الإداري ان الملوك لم يقيموا في مدينة رومية بل أنشأوا لهم عواصم قريبة من الحدود ليتمكنوا من الزحف سريعاً الى مقاتلة الاعداء وان يكن مجلس الشيوخ لم يزل باقياً صورة في رومية فاتخذ ( مكسيميان اغسطس ) مدينة ميلان عاصمة لتخت ملكه

وجعلت ( نيقوميديا ) بأسيا الصغرى عاصمة ( دقلديانوس  
اغسطس ) ومدينة ( تريف وأرل ) عاصمة الغالة ومدينة  
( سيرميوم ) عاصمة بلاد ايليريا وتحولات حالة الملوك من  
حياة المزاجية الى حياة العظمة والجلالة فأصبح القيصر  
( دقلديانوس ) يرتدي حلا فاخرة مرصعة بالاحجار الكريمة  
وله حاشية كبيرة من الحرس والخدم وكانت رعيته لا تراه  
الا نادراً في موكب حافل وكانت الاهالى تقابله بالركوع  
ولا تخاطبه الا بالقاب الجلالة وتحاشي هذا الملك الاختلاط  
بالسواد الاعظم فأصبح بمعزل عنهم وأصبحت الاهالى تتنافس  
في الاندماج في خدمته وصارت القاب موظفى معيته معتبرة  
من أرقى الوظائف الرئيسية التي يتطلع اليها الكفاء !!

وكان قصد الملك ( دقلديانوس اغسطس ) من هذه السياسة  
ان يكون بمعزل تام عن رجال العسكرية الذين خافوه وأكثروا  
من تبجيله .

وحدث في عصر الملك ( دقلديانوس ) ان قصره الملوكي  
بمدينة نيقوميديا اشتعلت فيه النيران سنة ٣٠٣ م فاتهم النصارى  
زوراً وبهتاناً فأصدر أوامره التي لا مردّ لقضائها الى سائر عماله

في عموم انحاء الدولة بان يحرقوا كنائس النصارى ويقتلوا  
قساوسهم واساقفتهم وكل نصراني وجد في بلادهم لا فرق بين  
الحقير منهم والعظيم . فنفذ العمال هذا الامر الملوكي بكل عنف  
وشدة وجعلوا من دماء النصارى انهارا واذاقهم ثوب العذاب  
الوانا وظل هذا الاضطهاد العظيم عشرين سنة وفي خلالها هدمت  
في مصر بيع الاقباط وقتل منهم خلق كثير ولذا اعتبروا هذه  
المنذحة العظيمة التي اودت حياة شهدائهم مبدءاً لتاريخهم  
القبلي . (١)

وما انبثق عام ٣٠٥ م حتى رأى (دقاديانوس اغسطس)  
ان التعب قد أضنى جسمه بعد ان خدم دولته ٢١ سنة لم يعرف  
في خلالها معني للراحة فاعتزل الملك . وتنازل عن  
هذه العظمة ايثاراً للراحة فجمع الجند ودعا الاهالي ثم سلم  
امام هذا الجمع الحافل الحلة الملوكية الارجوانية التي كانت  
شعار ملوك الرومان . وذهب الى قصره بأقليم — دلماسيا —  
ملتزمًا السكينة تاركًا سياسة الحكومة الرباعية لاربابها وأجبر

(١) من اراد زيادة البيان عن هذه الحادثة فليراجع خطط  
لثريزي ففيها الشفاية .

رفيقه ( مكسيميان اغسطس ) على التنازل بيدانه ما تخلى عن  
الملك حتى شجر خلاف بين القياصرة والاغاسطة .

فكان ( دقلديانوس ) يتحسر ويأسف على هذه الاحوال  
حتى ان التسع سنوات التي قضاها من عمره في قصره كانت  
له مشغولية كبرى وقيل إنه توفي كذا وغماً على تفرق كلمة  
هوؤلاء الحكام سنة ٣١٣ م وظل هذا الاضطراب والانشقاق  
مستحكماً حتى بزوغ غزالة عام ٣٢٣ م وسبب هذه الجلبة  
ان القيصرين ( غاليريوس ) و ( قنسطانطيوس ) ارتقيا الى  
وظيفة اغسطس بعد كما قدمنا من الملك دقلديانوس ورفيقه  
وحل محل القيصرين ( مكسيميانوس وسقيروس ) غير ان  
الملك ( غاليريوس اغسطس ) كان مثال الشدة والشره ومعدن  
الحيف والجور وبالعكس فان رفيقه ( قنسطانطيوس اغسطس )  
كان حليماً عادلاً كثير المناقب الغراء ولذا كان مكرهاً عند الملك  
غاليريوس ) الذي حاول ان يقتل هذا الملك المحبوب ويودي  
بحياة ولده قنسطانطين غير انه لم ينجح وفشلت مساعيه الشيطانية  
وما بدت طلائع عام ٣٠٦ م حتى توفي الملك ( قنسطانطيوس  
اغسطس ) فبايع الجيش ولده الأمير المحبوب قنسطانطين .

# الدولة الرومانية النصرانية

القيصر قسطنطين الأعظم

( ٢٢٣ — ٣٣٧ )

﴿ انقضاء عصر الجاهلية ﴾

انتخب القائد ( فلاقيوس قاليروس قنسطنطينوس )  
أمبراطوراً سنة ٣٢٣ م فأطلق عليه ( قسطنطين الأعظم )  
وفي عصره الميمون انتصر على سائر الملوك لأنه لم يكن في سنة  
٣٠٦ سوى أحد ملوك دولة الرومان الذين كان عددهم ستة  
وهم ( غاليريوس وسقيروس ومكسيميان ومكسانس  
ومكسيميانوس وقسطنطين )

وكان قسطنطين يحاربهم والصليب مرقوش على الويتة سنة  
٣١٢ م ويقدر برهنت أعماله العظيمة في حروبه على شجاعته  
المتناهية وحسن إدارته إذ قد حصر السلطة الملوكية في شخصه

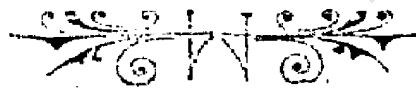
لأنه كان ينتصر على كل ذلك تدريجياً وينزع منه أهلاً له وما  
انبثق عام ٣٢٣ م حتى أصبح الامبراطور الوحيد وكانت  
الديانة المسيحية في تلك الأثناء مضطهدة لأن أفكار القياصرة  
كانت متجهة إلى نحو هذه الديانة لأنهم اعتبروها حاضرة على  
الفوضى فضلاً عن كون المسيحيين لم يتظاهروا بالأغراق في  
الولاء لهم لأنهم لم يشتركوا في الحفلات الوثنية وبالرغم من  
ذلك كله فإن القياصرة كانت لا تعارض في انتشار النصرانية  
إذا تركت الناس تعبد ما تشاء غير أنه كان عزيزاً عليهم أن  
يتخلف المسيحيون عن الاشتراك في الاحتفالات العمومية  
وتقديم القرابين لقداسة الامبراطورة إظهاراً لخضوعهم ودلالة  
على ولائهم بيد أن القيصر قسطنطين لما جلس على تخت الدولة  
وجد عدد المسيحيين كثيراً وإنهم قوة لا يستهان بها تساعده  
في أعماله العظيمة إذا اتخذها تحت لوائه حيث أنه أصبح  
الرئيس الأعلى في الدولة وقبض على سائر السطات ما عدا  
تلك الرئاسة الدينية ولذا عطف على المسيحيين وتمسك بدينهم  
وأمر بجعل المسيحية ديناً رسمياً للدولة سنة ٣١٣ م وإن تهديم  
الأوثان وتعطل الأشغال يوم الأحد من كل أسبوع .



الا ان القيصر ( قسطنطين ) تأكد الا حياة لمشروعاته  
 الا بتركه مدينة رومية العتيقة لينشيء عاصمة أخرى حيث  
 أن أهل رومية قد تشبهوا بالآراء القديمة وتمسكوا باهداب  
 الوثنية وقبيح بهم أن لم يكن عسيراً عليهم أن يتكفوا ملة آبائهم  
 وأجدادهم فاتخذ أخيراً قطعة صحية في بلاد التراس تعال على  
 البحر الاسود وهي مكان مدينة ( بيزانس ) ودعيت بعلمه  
 بمدينة قسطنطين ثم ركت تركياً مزجياً فاصبحت مدينة  
 القسطنطينية وبني بها كنيسة القديسة ( صوفيا ) سنة ٣٣٠  
 وكان قصد الملك قسطنطين من ذلك أن يتباعد ما أمكن  
 عن مدينة رومية ومتكلمي اللاتينية وجاور اليونان ليخلق  
 عاصمة جديدة لدولته الجديدة التي أنشأ بها مجلس شيوخ  
 جعل أكثر أعضائه من الاغريق وأدخل البقية من مخلصيه  
 وأمر بضرب وسامات متنوعة وتفصيل ملابس خاصة بموظفي  
 الحكومة وجعل الدولة وراثية في يده تحت حكم فرد مطلق  
 وأزاح خطر العسكرية اذ جعل فرقهم امكونة من عدد قليل لا يتجاوز  
 الواحدة ١٥٠٠ مقاتل وذلك كيلا تكون قوة خطيرة تنظم

ثى قوادها وقسم الجيش الى قسمين أحدهما لتخفيرة الحدود  
والآخر فرقته على البلدان لحراستها . وبهذه السياسة الحكيمة  
فرّق جموع الجند وقضى على قوتهم من حيث لا يشعرون ثم  
أنه قسم الدولة الى ولايات والاخيرة الى ( أبرشيات ) وقسمت  
الاخيرة الى مقاطعات ثم الى أقاليم أو مراكز صغيرة جعل  
على كل واحد منها قاضياً وعين أربعة حكام مسؤولين أمامه  
شخصياً واتخذ له مشيرين وجعل الموظفين بعضهم فوق بعض  
درجات يأخذون أو امره على التدرج من الاعلى الى الادنى  
غير ان هذه الاصلاحات التي أحدثها قسطنطين أنهكت  
الاهالى بسبب تلك الضرائب الفادحة التي كانت تصرف  
مراتب لموظفيه ورجال معيته فضلاً عن انفصافه بسخاء على  
المواكب الملوكية ايثاراً للنفخخة والعظمة وانبى على ذلك  
عجز الاهالى عن الدفع لخراب أراضيهم من آثار تعديات  
الافوام المتبربرة ولا ريب ان الاصلاح بطريق الطفر دو إرهاق  
الاهالى تكون عاقبته سوء المال سيما في كل دواة أنهكتها  
الشيخوخة ولذا فلا نمارى ان قلنا ان اصلاحات هذا شأنها  
تكون مرتكزة على أساس مزعزع .

وفي سنة ٣٣٧م توفي القيصر قسطنطين فحزنت عليه الاهالي وصعد على العرش ابن أخيه المدعو ( فلاقيوس قلوديوس جوليانوس ) الذي ارتد واتبع ملة آيائه الوثنيين فأمر بإعادة بناء المعابد القديمة وعزل المسيحيين من سائر الوظائف وفي مدته حارب الفرس حروبا عنيفة كان النصر في جميعها حليفه غير انه قتل أخيرا أثناء آوخته من بلادهم وبموته انتهى عصر الوثنية وكان هذا القيصر آخر ملك وثني.



# الآغارات الاخيرة

للأمم المتبربرة

﴿ واستيطانها في املاك الدولة ﴾

علمنا مما تقدم ان الألمان قد ناوشوا الرومان قرنا ونصف قرن فكانت القياصرة تحاربهم وتردحهم مدحورين على أعقابهم غير ان هذه الأمم حالما تهاون الامبراطرة وادخلوا ابناؤهؤلاء الاعداء في صفوف الجيش الروماني أصبحوا جواسيس امهم اذ اطلعوها على ما كان كما ناثم علموها الخدع العسكرية وكيفية الحروب النظامية وتيسرت لهم تلك الوسائل من جمع الثروة الطائلة التي سلبوها من البلدان الرومانية في اغاراتهم المتكررة . ومن الغريب المدهش أن هذه الأمم المتوحشة قد تمسكت بالعوائد الرومانية حتى ان الغوطوهم سكان — داشيا — علموا أولادهم الآداب اللاطينية .

وفي تلك الأثناء أغارت قبائل ( الهانيس ) الأسيوية على  
قارة أوربا ثم على بلاد الغوط الذين قهروا فولوا هارين اذ  
عبروا نهر الطونة ودخلوا خائفين في الحدود الرومانية فلم  
يتعرض لهم القيصر ( قالين ) لأنه كان مغلوباً على أمره وأخيراً  
مد اليهم ذراعيه فطمعوا فيه حيث قتلوه في إحدى المعامع  
سنة ٣٧٨ م ومن ثم أصبحوا ذوي الأمر المطاع في الدولة .

ولما توفي هذا القيصر خلفه ( طيودوسيوس ) ٣٧٩ —  
٣٩٥ ولقد كان هذا القيصر من اهل اسبانيا وصل الى هذا  
المنصب الموكي بكفاءته الشخصية وكانت سياسته العملية  
متجهة الى ايقاع النفرة والتفريق بين قبائل الغوط ليوقعها في  
بعضها وبذلك صار يتعقبها واحدة بعد أخرى وأخيراً حاربها  
قهرها ثم طردها من بلادها وجعل من تبقى رعية لدولته .

غير ان الغوط استوطنوا في الاقاليم الرومانية الواقعة جنوب  
نهر الطونة ونام عن مطاردتهم الرومان اذ عجيب في بابه أن  
تقلص الوطنية الصادقة من قلوبهم الى هذه الدرجة حتى تركوا  
اعداءهم يقيمون لهم بالمرصاد في أقاليم الحدود الرومانية ولا  
مشاحة ان هذه الغلطة السياسية الكبرى سترينا قريباً سقوط

هذه الدولة التدريجي وانفصال ولاياتها عنها باغارة هذه  
الاقوام عليها ونزع السلطة العليا من القياصرة وتنصيب  
أنفسهم ملوكا . ويظهر ذلك جليا عقب وفاة القيصر  
( طيودوسيوس ) فإنه كان قد اوصى أن تقسم الدولة بين ولديه  
الاميرين ( اركاديوس ) و ( هونوريوس ) وانبنى على ذلك ان جعلت  
الدولة الرومانية الشرقية من نصيب الاول وترك الثاني قيصر اعلى  
الدولة الرومانية الغربية وان لم يبلغ عمره الحادية عشرة سنة  
ولذا جعل القائد الباسل ( استيليشو ) وصيا عليه فكان هذا  
الرجل نعم الوصي جسورا ردد هجمات الغوط عن تخوم الدولة  
الغربية فكانت مكافأة هذا القيصر السيء التدبير لوصيه القتل  
سنة ٤٠٨ م لانه خاف أن تتجزأ السلطة من يديه . شأن كل  
حاكم مستبد . ! ؟

فلما علم الغوط بموت منظم وراثة شكيمتهم وكاسر  
أنوفهم ثاروا واستكبروا استكبارا ثم أشهروا الحرب على  
حكومة رومية ومن ثم حاصروها ودخلوها بسلام آمنين  
سنة ٤١٠ م تحت أمرة ملكهم ( غلاريق ) الذي لم يلبث قليلا  
حتى دنت منيته فلم يظفر بحلاوة انتصاراته الباهرة .

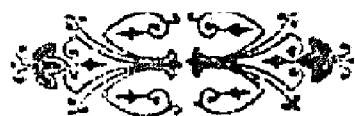
فخافه والده الامير ( آطوف ) الذي اختلط بأهل رومية وتمسك بعوائدهم فتمكن من قابله محبتهم ولما توسم في قومه عدم الاستعداد التام والكفاءة الذاتية في الخضوع للقوانين واتباع سنن النظمات المدنية وانهم دون الرومان بمراحل رأى خيرا له ولقومه ان يصافح القيصر واخيراً تزوج بأخت الامبراطور ( هونوريوس ) ثم رحل بجيوشه الجرارة الى بلاد الاسبان ومكث بعدئذ في جنوب بلاد الغالة التي طارد منها اعداءها الالمان وبسياسة المداينة والخضوع التام لقيصر رومية انشأ الملك ( آطوف ) اول دولة متبربرة في داخل الدولة الرومانية . ولم يستقر الرومان فترة قليلة من الزمن وهم في صفاء مع اصدقائهم حتى هاجهم ( الهانس ) وهم الاعداء الغوط ولا يخفى ان هذه القبائل كانت متوحشة شديدة البطش واخيراً هجمت بجموعها المتكاثرة على بلاد الغالة تحت قيادة ملكها ( آطولا ) فجزع الغوط وارتعب الرومان ثم اتحدوا سوياً على قتال هؤلاء الاعداء تحت لواء القائد الروماني الباسل ( عيطيوس ) الذي استمات في القتال ولبس جلد الثور مثل بالاعداء تمثيلاً وهزيمتهم شر هزيمة في واقعة ( شالون )

سنة ٤٥١ م ومن حسن الحظ ان الملك ( أطيلا ) توفي بعد سنتين من هذه الواقعة وكانت نيته معتمدة على شن الغارة مرة أخرى على الغوط والرومان غير انه ماتوفي حتى انتشر عقد جيشه وتفرقت كلمة قواده فكان تخاذلهم في موضع التعاون والتعاقد سبباً قوياً في زوال بأسهم .

وفي تلك الاثناء كانت القبائل الالمانية تهاجم الدولة الرومانية الشرقية . وترتب على ذلك ان اتخذ الغوط اسبانيا وجنوب الغالة مسكناً وأقام الفرنك في شمال بلاد الغالة وسكن البرغند في أواسطها ما بين قبائل الفرنك والغوط واغارت القبائل الانكليزية على جزيرة بريطانيا ونكأت بسكانها تكتيلاً عظيماً واستوطنت قبائل ( القاندا ) بلاد افريقيا . ودخلت الجيوش الجرمانية بلاد ايطاليا منتحلاً قوادع عبوديتهم لتقياصرة رومية والحقيقة انهم دخلوها فاتحين سالبين ناهبين وما أشرق عام ٤٧٦ حتى سقطت الدولة الرومانية الغربية اذ تنازل القيصر ( روميرو لوس اغسطس ) عن عرشها كأن قضي الباريء ان مدينة رومية التي اسسها الملك روميولوس سنة ٧٥٣ ق م تسقط على يد سميح الملك روميولوس سنة ٤٧٦ م .

فارسا مجلس شيوخ مدينة رومية الى الملك ( زينون الاول ) قيصر الدولة الرومانية الشرقية يخبره بان الدولة الغربية تتقدم اليه بالطاعة ايشملها بعنايته ورعايته لتكون تحت سيادته والتمس ان يعين القائد الالماني ( اودواسور ) عاملا على بلاد ايطاليا من قبله .

وكان ( اودواسور ) ملك قبيلة ( هيرولي ) وبعده اتي ملوك غيره من الألمان كأن ادواسور اشترط الا يخلفه الابن وقومه بيد انهم كانوا يعترفون بسيادة قياصرة الدولة الرومانية الشرقية وهذا يشبهنا بحالة مملكة بلغاريا قبل انفصالها عن الدولة العلية العثمانية .



## القيصر<sup>(١)</sup> جوستينيان الاول

(٥٢٧ - ٥٦٥ م)

كانت دولة فارس وقبائل (الهانس) الشغل الشاغل

(١) كنا نحب أن نسألف السير في تاريخ الدولة الرومانية الشرقية مع ذكر قيصرتها حتي سقوطها في أيدي العثمانيين سنة ١٤٥٣ م غير أننا مضطرون بحكم برنامج المدارس الثانوية المصدق عليه حديثاً من نظارة المعارف العمومية الى اهمال هذه الحوادث حيث أن هذا البرنامج قد أوجب على التلاميذ بعد دراسة تاريخ الملك جوستينيان معرفة مجموعة قوانينه وتأثيرها على نظمات الدول الاخرى.

ولذا فنحن هنا مضطرون الى اهمال باقي الحوادث وان كان ما ذكرناه في كتابنا هذا هو زيد اللباب النافع للناس الفقه الى دراسة علم السياسة وما عداه فهو هباء لا يمس في الارض.

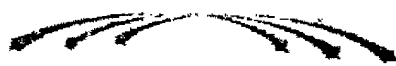
للدولة الرومانية الشرقية التي طالما أزعج صفوها وهدد  
كيانها هؤلاء الأعداء الالقاء.

وما سعد القيصر ( چوستينيان الأول ) على عرش  
هذه الدولة حتي تافت نفسه الاية الى اعادة مجد الدولة  
الرومانية وعزها المدارس بمحاربة هذه الامم المتبربرة واسترداد  
البلدان والاقاليم التي استولت عليها قوترا اقتدارا . وتصادف  
ان السعد خدم هذا القيصر العادل بوجود القائد المغوار  
والباسل الذي لا يشق له غبار ( بليساريوس ) الذي كانت  
تجبة الجنود محبة صادقة فكانت لا تعصى له امرأ ولا تخالف  
لدارأيا اذ كانت أطوع اليه من بنانه وقد درّبها تدريبا حسنا  
على الطعن والقتال وتسور المرتفعات واخيرا استجمع جيوشه  
المظفّرة وحارب دولة الفرس حروبا يشيب لمولها الولدان  
وانصر على الملك ( كسري انوشروان ) في سهول آسيا —  
٥٢٨ — ٥٣٢ م ثم استأنف الزحف الى بلاد افريقيا فهزم قبائل  
القاندال وأعاد هذه البقاع تحت حكم الدولة الرومانية الشرقية  
سنة ٥٣٤ م ثم ذهب منها فعبّر البحر الى جزيرة صقلية  
فاستولي عليها وحكم سيوفه ورماحه في قبائل الغوط

المقيمة في ايطاليا وقد نجح في طردها من هذه البلاد سنة ٥٣٥ — ٥٥٠ م وانبنى على ذلك ان القيصر جوستينيان الاول أصبح الحاكم الفرد الذي لا ينازع في حكم حكومتى رومية والقسطنطينية . ولاريب ان هذا القيصر العادل يعتبر من أعظم امبراطرة الدولة الرومانية الذين خدموا العدل ودوّنوا القوانين التي أصبحت في عصرنا هذا اساساً لسائر قوانين الشعوب الاوربية فان قانون نابوليون الاول امبراطور فرنسا لم يبن الا على انقاض وقواعد القانون الرومانى ولم تزل بلاد اسكوتلاندا لوقتنا هذا تحكم محاكمها حسب نصوص القانون الرومانى كما ان مدينة بلاد ايطاليا واسبانيا وفرنسا وأغلب الشعوب الاوربية لم تقم الا على اساس مدينة الرومان ( هذا وسنفرد في باب على حدة اعمال هذا القيصر الكبير في قوانين دولة الرومان ) غير ان هذه الدولة الرومانية قضى الله عليها بعد وفاة هذا القيصر النافع بتمزيق شملها فلم تأت سنة ٥٦٨ حتى هجم الالمان على صحراء لومباردي الواقعة في شمال ايطاليا وزاد نفوذ المعجم في البلاد الاسيوية حتى ان القيصر هرقل ( ٦١٠ — ٦٤١ ) اضطر ان

يذهب الى بلاد آسيا ليقلص نفوذ الفرس وظل يحارب العجم  
 أربع سنوات متوالية على غير طائل حتى اضعف جيوشها وان  
 لم يظفر بشيء فان الجنود الفارسية استولت على مدينة انطاكية  
 ولم تسترح الدولة الرومانية الشرقية من مصائبها حتى هدها  
 العرب الذين تقلصت من ديارهم الجبال اذ تشبعت نفوسهم  
 بالآداب الاسلامية وتمسكوا بأحكام القرآن الكريم المنزل  
 على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وفي عصر الخلفاء الراشدين  
 استولى العرب كما علمنا على بلاد الشام ومصر وافريقيا وفي  
 عصر الدولة العباسية استولى المسلمون على اسبانيا (الاندلس)  
 وتوغلوا كما علمنا في الجزء الاول من تحفة الانام في التاريخ العام  
 في بلاد فرنسا حتي نهر ( الوار ) وظل خلفاء الاسلام يشنون  
 الغارة على مدينة القسطنطينية حتي جاء السلطان العثماني الغازي  
 محمد الثاني الفاتح رضي الله تعالى عنه فنقد رغائب خلفاء  
 صدر الاسلام في فتح عاصمة الدولة الرومانية الشرقية سنة  
 ١٤٥٣م وحقق قوله عليه الصلاة والسلام ( لتفتحن القسطنطينية  
 فنعم الامير أميرها وانعم الجيش ذلك الجيش ) فافرح ابا  
 أيوب الانصاري في قبره وبذلك تغيرت خريطة العالم وابتدأ

التاريخ الحديث وسقطت الدولة الرومانية الشرقية كما سقطت قبلها الدولة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ م وان لم تسقط زعامتها الدينية فان رومية كانت عاصمة الدنيا في عصر القياصرة الوثنيين وأصبحت عاصمة الديانة المسيحية ومقر خليفة عيسى ابن مريم الا وهو مركز البابوية ولقد ظلت زعيمة المسيحية وكعبة آماتها حتي ظهور تعاليم المصلح الديني (مارتين لوتر) سنة ١٥١٧ م (فليراجعها القارئ لو أراد في كتابي الجزء الثاني من تحفة الآنام في التاريخ العام) صحائف ٣١ — ٣٥ وبعدئذ أصبحت مدينة رومية قاصرة على زعامة الكاثوليكية وسبحان المعز المذل بيده الملك وهو على كل شيء قدير .



## مجموعتنا القوانين الرومانية

وتأثير نظمات وقانون رومية في الأمم الأخرى

كانت الطريقة الرومانية في تشريع القوانين ترجع قديما الى حالة البداوة الأولى والهمجية السائدة في ذلك الوقت ولقد ظلت هذه الطريقة وليدة تنمو تدريجيا على مدى الدهور حتى بلغت سن رشدتها من التهذيب والتعديل وادخال العوائد المستحسنة ونبت ما استقبح منها وتقنين ما يلائم حالة الرقى فأصبحت تلك القوانين البسيطة وهذه العوائد القديمة التي غيرت الايام أساليبها الصالحة قوانين عادلة جمعت فاودعت كثيرا من الفضائل وبلغت أقصى درجات الكمال والاصلاح حتى أصبحت الدعامة الاولى التي بنيت عليها سائر قوانين الدول الاوربية ومن هذا حذوها من البلاد الشرقية .

ولقد أطلق على هذا القانون Jus Civile أي القانون المدني الذي درس أحقابا في الجامعات الحقوقية بقارة أوروبا واصبح اساس أغلب قوانين الدول الاوربية الحديثة .

فرنسا وبلجيكا والمانيا وهولاندا واسكوتلاندا وغيرها لان ذلك القانون هو ثمرة قرائح علماء رومية منذ تأسيسها الى سقوطها سنة ٤٧٦ م ثم استمر معمولاً به نامياً حتى سنة ١٤٥٣ م . ولا يخفى ان القوانين الرومانية قبل عصر القيصر چوستينيان كانت متنافرة فيها كثير من التناقض ولذا لما تربع هذا القيصر العظيم على عرش الدولة بذل قصارى جهده في اصلاحها ولم شعئها اذ كانت القوانين الرومانية مقسمة الى قسمين قديمة وجديدة فكانت الاولى تحتوي على سائر القوانين التي صدرت في عصر الجمهورية وعلى الأخص قرارات وأوامر مجلس الشيوخ ثم قوانين الدولة منذ تأسيسها حتى انقراض القياصرة الأول ثم الاصلاحات والتعديلات والشروط التي وضعها كبار متشرعي الرومان . اما القوانين الجديدة أو القسم الثاني فكان يشمل عموم الأوامر الملوكية ومن هذا الموجد يتضح لنا جلها صعوبة هذه القوانين البعيدة عن التهذيب والترتيب فضلا عن كونها مطولة لا يمكن لإنسان استيعابها ولا الإلمام بها علاوة على تضارب احكامها وتناقض اقوال الشراح فيها ولما استتب الامر للقيصر

جوستينيان رأت عيناد وهما أبصر من عيني اليمامة ان تصلح هذه القوانين وتختصر ثم تنقح وتزال الالتباسات وتحذف منها الشبهات وتوفق الاحكام وتشرح النصوص الغامضة . وعلى ذلك عين لجنة من فطاحل المشرعين رأسها بنفسه لهذا الغرض السامي .

وبهذا الاعتبار قسم القانون الروماني الى أربعة عصور لكل عصر خاصية تميزه عن غيره فالعصر الاول يبتديء من تأسيس مدينة رومية منذ سنة ٧٥٣ ق . م لغاية القوانين المعروفة بالاثني عشر لوحا حنة ٤٤٩ ق . م . فكانت القوانين في هذا العصر غير مسطورة خاضعة للعادات القومية . اما العصر الثاني فيبتديء من الألواح الاثني عشر وينتهي بسقوط الجمهورية من سنة ٤٤٩ ق . م الى سنة ٣١ ق . م . والثالث من تأسيس الدولة تحت رآسة القيصر العادل اغسطس الى انقضاء عصر القيصر المصلح العظيم جوستينيان من سنة ٣١ ق . م الى سنة ٥٦٥ م . ويسمى هذا العصر بالامبراطوري وهو ينقسم الى قسمين عصر صدر الدولة الرومانية وهو يبتديء من عهد القيصر اغسطس الى عصر القيصر دقلديانوس —

( ٣١ ق . م - ٢٨٤ م ) - ثم العصر الاخير للدولة من  
القيصر دقلديانوس الى القيصري جوستينيان فكان العصر الاول  
فيه القيصري محدود السلطة له نظمات ونطاق لا يتعداه والثاني  
خلل فيه القيصري مطلق الارادة النافذة  
واخيراً العصر الرابع وهو يتدىء منذ سقوط الدولة  
الرومانية الشرقية سنة ١٤٥٣ م .



ولاريب أن العصر الامبراطوري كان أهم جميع العصور  
لان الدولة في أثنائه بلغت أسمى درجات القوة وأصبح قانونها  
منفردا كالعلوم الاخرى يعلم في المدارس ومما زاد بهجة هذا  
العصر وجود أكبر علماء الفقه وعمد مشرعي الرومان مثل  
العلامة الفقيه ( يوستينيوس ) وبولص (١) وجايوس وبايينيان  
ومودستينوس : هؤلاء الذين شرحوا غوامض القوانين  
ووضعوا له القواعد والمبادئ القانونية.

(١) ولا تزال آثار هذا الفقيه في قوانيننا المصرية راجع  
الدعوى البولصية مادة ١٤٣ مدني أهلي و ٢٠٤ مختلط .

والحقيقة ان صدر العصر الامبراطوري كان عصر النمو والإصلاح وعجزه كان عصر الكمال وبلغ القانون الغاية القصوى من التنقيح والنمو والبهجة وأسفرت نتيجة اللجنة التشريعية التي رأسها ( القيصر چوستينيان القانوني ) أن جمعت سائر القوانين الرومانية النافذة المفعول في بقاع الدولة ثم حالت وأخذت زبدها ثم دونت وبعدئذ طبعت تحت إشراف هذا القيصر الذي أمدها بنفوذه وسلطته .

ولقد أطلق على هذه المجموعة الكبيرة ( القانون المدني ) واعتبرت لاغية لسائر ما تقدمها من القوانين وأصبحت مجموعة هذا القيصر هي القانون العام المتبع في القارة الاوربية والذي جعل أساساً في العصور المتأخرة لقوانينها ولا زالت هذه المجموعة تدرس في عصرنا هذا في كليات الحقوق وفي مدرسة الحقوق الخديوية .

وقسمت مجموعة القيصر چوستينيان الى أربعة أجزاء لكل جزء خاصية تميزه عن الآخر حتى انها طبعت في سنوات مختلفة . اما هذه الأجزاء فهي : —

( ٢ ) المنتخبات أو ( الپانديكت )

( ٣ ) القانون

( ٤ ) التشريعات الحديثة Novels

اما الجزء الاول فكان يشمل التعليمات والمبادئ القانونية والقواعد الفقهية ليدرس لطابة الحقوق والخلاصة انه مختصر المجموعة وطبع في سنة ٥٣٣ م كما طبعت المنتخبات او ( الپانديكت ) المشتملة على منتخبات من اعمال وافكار متشرعى الرومان واشتمل القانون على جميع الاوامر العالية والمنشورات واللوائح الملوكية من عهد القيصر ( هيدريان ) — ١١٨ م — ١٣٨ — الى عهد القيصر چوسنينيان وطبع في سنة ٥٣٤ م .

أما ( النوقل ) أو التشريعات الحديثة فكانت تشمل الاوامر الملوكية والمنشورات والقوانين الجديدة التي ظهرت بعد طبع القانون حتى انتهاء عصر القيصر ( چوستينيان ) سنة ٥٦٥ م وصفوة القول ان هذا الجزء كان تمة القانون .

# تأثير القانون الروماني

﴿ على النظمات الأوربية ﴾

يختلف تأثير القانون الروماني في غرب القارة الاوربية عن شرقها ذلك لان الدولة الرومانية الشرقية ظلت قائمة تسعة قرون بعد وفاة القيصر ( چوستينيان ) الذي ظل قانونه نافذ المفعول أربعة قرون بعد عصره فكانت القياصرة تعطيه القوة وتنقحه بأوامر عالية .

يبد أنه في اوائل القرن الحادي عشر تغيرت لغة الدولة الرومانية الشرقية من اللآطينية على التدرج الى اليونانية . ومن ثم كثر شرح قانون چوستينيان بواسطة شرعي اليونان حتى أطلق عليه ( قانون بيزانطية ) . ولما سقطت الدولة الشرقية هاجرها العلماء والفقهاء المولدون او الرومانيون اليونانيون أولئك هم المتعلمون على الطريقة البيزانطية فكانت هجرتهم سبب احياء العلوم بأوربا ( وسيرد ذلك مفصلا في محله في صدر الجزء الثالث من تحفة الآنام في التاريخ العام )

ومع كل فان القانون الروماني كان معني به قبل هذه النهضة العلمية فانه في سنة ١١٢٠ م انشئت مدرسة حقوقية في مدينة ( بولونيا ) من اعمال ايطاليا لتدريس القوانين الرومانية فكانت هذه المدرسة سبب انتشار وانتعاش هذا القانون في أوروبا فضلاً عما أدخل عليه من التهذيب ولا يخفى ان القانون الروماني ينقسم الى ثلاثة أقسام وهي قانون الاحوال الشخصية وقانون المعاملات أو الاشياء التي تشمل كل ما يمكن تملكه للانسان سواء كان مادياً او غير مادي فالاول كالاشياء المرئية والثاني المحسوسة كجرد الحقوق والديون والخلاصة ان الشيء يطلق في ذلك القانون على كل ما يمكن ان يكون محله حقاً قانونياً .

والقسم الثالث قانون التعهدات والالتزامات . وكان بودي ان اتسع قليلاً في ذكر شيء عن هذا القانون العظيم غير ان البرنامج يمنعنا . وفضلاً عن ذلك فاننا نكون متعدين على علم القانون الروماني الذي يدرس مفصلاً في المدارس الحقوقية ولذا يجب التفرقة بين علم التاريخ من حيث هو وعلم القانون مجردا وان كان مع الاسف الشديد لم نر في لغتنا

الشريفة العربية كتاباً شاملاً سائر القوانين الرومانية للعلم بها  
 وتكون معيناً لطلبة الحقوق الذين كتب عليهم الشقاء الا  
 يروا كتباً قانونية بلغة بلادهم ليرجعوا اليها كما هو الحال في  
 أغلب الأمم المتمدنية ولعل فريقاً من قضائنا ومحاميننا يسد  
 هذا النقص وفيهم الا كفاء والحمد لله وليس على الامراء  
 والاغنياء بعسير ان يمدوا هؤلاء العاملين بما يشجعهم ويساعدهم  
 على ابراز هذه المؤلفات المفقرة اليها لغتنا الا فليقتدوا بصاحب  
 الشوكة والاقتدار مولانا الامير الجليل ( يوسف عز الدين  
 افندي ) ولي عهد الدولة العلية العثمانية الذي أنشأ لجنة علمية  
 تحت رئاسة سموه لعمل دائرة معارف عثمانية فهل من مقتد  
 ويد الله مع الجماعة ؟ ؟

انتهى تاريخ الرومان لتلاميذ الفرقة الرابعة من المدارس الثانوية  
 ( حسب آخر برنامج قررته نظارة المعارف العمومية )

﴿ لطلبة شهادة البكالوريا ﴾

﴿ والحمد لله أولاً وآخراً ﴾

## ﴿ التقاريط ﴾

لما اطلع عمدة مؤرخى مصر العلامة العامل سعادة الفريق اسماعيل  
باتا سر هنك وكيل نظارة الخيرية السابق وصاحب كتاب (حقائق  
الآخبار عن دول البحار) على كتابي هذا تكرم فأرسل الي هذا  
لتقريظ واني أثبتة هنا بنصه الشائق . قال حفظه الله : —

حضرة الفاضل .....

لما رأي العلماء ان فن التاريخ هو نور الحق وحياة  
الذكر ومدير الحياة ورسول التقدم به يصل الانسان الى  
معرفة قيام الممالك ونهوضها وسقوطها وانه الواسطة الاساسية  
للترقي في العلوم السياسية وأنه يكسب صاحبه النباهة حتى  
ينمق امثاله وأشباهه فيحوز المراتب العالية اعتنوا بضبطه  
ودوتوا عنه الاسفلر العديدة وقد ذكر بعضهم ان اقدم هذه  
التواريخ هو تاريخ الرومان الذي اكتسبت منه دول أوروبا  
مدنيتها وشرائعها فكتب لفيوس وديونييسيوس وپوليپوس  
واديورورس سككس وديوغيوسيوس وزوتاراس وسكست  
وقيصر ونسنس وهم أشهر المؤرخين الرومانيين القدماء وكتب  
للمؤرخون المتأخرون ومنهم تيبوس ومسن من الالمانين وارنلد

وندل ومرفيل وغبون من الانكليز وأمبير ودوروي من  
الفرنساويين التأليف المطولة ولكن لما رأوها صعبة التناول  
للنشأة الجديدة أجمع علماءهم المتأخرون وفي مقدمتهم فيكتور  
دوروي المشار اليه وبمحتوا في اعظم الطرق واسهبا لتعليم  
الطلبة هذا العلم فقر قرارهم ان تكون المؤلفات الدراسية لهذا  
العلم موضوعة بوجه الاختصار لكي يسهل على الطلاب  
الأخذ منها والاستفادة والارتقاء في مدارجها للوصول الى  
غايتها فاجتهد الكثيرون من العلماء المشار اليهم منهم فيكتور  
دوروي ناظر معارف فرنسا الاسبق والفرد راسبو وقاندان  
برديج وغيرهم وصنفوا عدة توار يخ مختصرة ونشروها فسهلوا  
بها على الطلبة تعلم هذا الفن في أقل زمن وقد تداولت وانتشرت  
مؤلفاتهم المذكورة في أكثر دور العلوم في اورپا وغيرها من  
البلاد ولما كانت معظمها باللغات الفرنسية كنت أتمنى أن أرى  
في بلادنا نهضة تقوم بوضع تلك الاسفار باللغة العربية حتى  
يسد بها هذا النقص ببلادنا لان المغرب منها الآن لا يشفي  
غليلا والقديم منها درسته الازمان وصار لا يفي بالمرام فلما  
اطلعتني حضر تكلم على كتابكم ( تاريخ الرومان ) الذي صنفتموه

حديثاً لطالبة ( الشهادة البكالوريا ) وسلكتكم فيه مسلك مؤلفي  
أوروبا المشار اليهم . عاودني الانشراح وشكرتكم قليلاً على  
هذه المساعي المفيدة ودعوت الله سبحانه وتعالى ان يوفقكم  
الى اتمام هذا العمل المشكور ويكثر من امثالكم لنفع البلاد  
مصر ١٥ مارس ١٩١١  
صديقتكم

الفريق اسماعيل سرهناك

— ١٢٥ —

لما تصفح كتابي حضرة الكاتب الاجتماعي الشير عزتو صاحب  
بك حمدي حماد ارسل الي هذا التقرير الذي اذكره هنا حرفياً  
اعترافاً بفضله وتعميماً لنفعه قال حفظه الله : —

ليس في تواريخ الامم أحفل من تاريخ الدولة الرومانية  
بالعظات والعبر ولا اغزر منه مادة في المسائل السياسية  
والنظامات والشرائع الوضعية حتى انه ليرجع اليه شطر الفضل  
في النظامات الحديثة في اوربا تلك التي قامت بمالكها على  
اتقاض الدولة الرومانية بعد أن أخنى عليها الدهر وسقطت  
من عل .

والناظر في تاريخ هؤلاء الرومان يرى عبراً وعظات  
بالغات في أسباب عظمة تلك الدولة وسقوطها أما اسباب

عظمتها فترجع في الجملة كما أثبتته المحققون الى سلامة العادات وجودة النظمات وتضامن الجماعات حتى بلغت دولتهم أوج عزها وخضعت لحييتها الشعوب وعنت لسطوتها جبابرة العالم القديم .

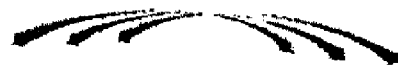
تلك لعمر ك كانت أسباب عظمة رومية وهي فتية مملوغة نشاطاً حتى صارت تلك العاصمة كعبة كل قاصد وانموذج الكمال لاكثر مدن الأرض بيد ان نجمهم سعد رومية لم يلبث طويلاً حتى أفل : وما أفل الا لما استبدل القوم الطيب بالخيث من العادات والجيد بالرديء من النظمات واتقلبت رومية من جمهورية ذات دستور جليل الى ملك عضوض تعلو عرشه قياصرة كان منهم العادل ومنهم الظالم ومنهم القوي ومنهم الضعيف فبعضهم هذا الى ما اصاب الرومان ولحقهم من فساد العادات تولاها الفشل والسقوط فالدمار طبقاً للقاعدة العمرانية الصحيحة في كل زمان ومكان : تلك القاعدة التي أشار اليها القرآن الكريم ( واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً )

فأسباب عظمة رومية وسقوطها لا جرم يرجع الى أمور

جوهرية في حياة الامم وتلاشيها وهذا وذاك يستفاد من  
دراسة تاريخ الرومان كأحسن ما يكون لذلك حرص على  
دراسته جمهور أهل أوربا وعني به أجلة مؤرخيهم وجامعاتهم  
ويسرني أن أرى قطرنا العزيز يحذو حذوهم وأن يكون من  
مقررات بروجرام نظارة معارفنا الجليلة تعليم النشء تاريخ  
الامم العظيمة الى جنب تعلم تاريخ مصر المحبوبة . وانه  
ليسرني أن يقوم مثل حضرة الفاضل الشاب النشيط  
مؤلف ( تحفة الآ نام في التاريخ العام ) و ( مبادئ العلوم  
السياسية والتاريخ الدستوري ) بتأليف هذا السفر المختصر  
المفيد في ( تاريخ الرومان ) باللغة العربية خدمة لأبناء الوطن  
العزيز حرية بأن تقابل بالتعصيد والثناء م

صالح حمدي حماد

القاهرة في ١٦ مارس سنة ١٩١١



# فهرست

| صفحة |                                      |
|------|--------------------------------------|
| ٣    | مقدمه الكتاب                         |
| ٧    | الباب الأول مقدمة عمومية             |
| ٧    | في تأسيس مدينة رومية وتاريخها القديم |
| ١١   | ملوك مدينة رومية                     |
| ١٤   | اصلاحات سرقيس طاليوس                 |
| ١٧   | الايطاليون القدماء                   |
| ٢١   | الاجناس الايطالية القديمة            |
| ٢٢   | تأسيس الجمهورية القديمة              |
| ٣٦   | النزاع بين الاشراف والعوام           |
| ٢٩   | تأثير قانون اجرييان على العامة       |
| ٣٢   | حكم الديسمثير                        |
| ٣٣   | الاحصائيون                           |
| ٣٤   | قانوناً — ليسينيوس وسكتيوس —         |
| ٣٨   | فتح ايطاليا                          |

|                              |    |
|------------------------------|----|
| حروب رومية القديمة بإيطاليا  | ٣٩ |
| حرب الأتراسكان               | ٣٩ |
| حرب الغول                    | ٤٠ |
| حرب السامنيت الأولى          | ٤٣ |
| الحرب اللاتينية              | ٤٤ |
| حرب السامنيت الثانية         | ٤٦ |
| حرب السامنيت الثالثة         | ٤٧ |
| حرب بيروس ملك إبيروس         | ٤٨ |
| الحكومة الرومانية في إيطاليا | ٥٢ |
| فتح قرطاجة ( قرطاجنة )       | ٥٥ |
| الحرب البونيقية الأولى       | ٥٥ |
| الحرب البونيقية الثانية      | ٦٢ |
| الحرب البونيقية الثالثة      | ٦٩ |
| فتح بلاد المشرق              | ٧٣ |
| فتح بلاد مقدونيا             | ٧٣ |
| فتح بلاد سوريا               | ٧٤ |

|     |                               |
|-----|-------------------------------|
| ٧٦  | التغيرات السياسية والاجتماعية |
| ٧٧  | نفوذ المدنية الاغريقية        |
| ٧٨  | پابليوس سيليو الافريقي        |
| ٧٩  | ماركوس كاتو                   |
| ٨٠  | أشراف رومية                   |
| ٨١  | الحكومة الجديدة في رومية      |
| ٩٠  | اقتراحات غراكوس الاصلاحية     |
| ٩٣  | كايوس غراكوس                  |
| ٩٥  | عصر الثورة                    |
| ٩٥  | حرب جوغرطا                    |
| ٩٩  | حرب امم التيوطون والسامبر     |
| ١٠١ | الحرب الاهلية الايطالية       |
| ١٠٦ | الايام الاخيرة للجمهورية      |
| ١١٤ | القواد المشهورون              |
| ١١٧ | الحكومة الثلاثية الاولى       |
| ١٢٤ | حكومة قيصر                    |

صحيفة

|                                         |     |
|-----------------------------------------|-----|
| الحكومة الثلاثية الثانية                | ١٣١ |
| سقوط الجمهورية الرومانية                | ١٣٨ |
| الباب الثانى ( تأسيس الدولة الرومانية ) | ١٤١ |
| القيصر طيبريوس                          | ١٤٦ |
| الملك كاليغولا قيصر                     | ١٥١ |
| قلود يوس قيصر                           | ١٥٤ |
| نيرون قيصر                              | ١٥٦ |
| اتقراض أسرة اغسطس الملوكية              | ١٦٠ |
| الملك أوتون                             | ١٦٢ |
| الملك فيتيل يوس                         | ١٦٣ |
| قيصرة أسرة الفلاف الملوكية              | ١٦٥ |
| الملك الامادل فلاقيوس                   | ١٦٦ |
| الملك طيطوس                             | ١٦٩ |
| الملك دوميشيان                          | ١٧١ |
| الملك نيرقا                             | ١٧٢ |
| الملك الاعظم طراغان                     | ١٧٣ |



## صحيفة

|     |                                         |
|-----|-----------------------------------------|
| ١٧٦ | الملك هيدريان                           |
| ١٧٨ | الملك انطونيوس                          |
| ١٧٩ | الملك مرقس اوريليوس                     |
| ١٨٢ | الملك كودوس                             |
| ١٨٤ | تاريخ الدولة الرومانية في المدة الاخيرة |
| ١٨٤ | ملوك العسكرية                           |
| ١٨٦ | الملك سقيروس                            |
| ١٨٧ | القيصر كرا كلا                          |
| ١٩١ | القيصر اسكندر سقيروس                    |
| ١٩٤ | اغارات الامم المتبربرة                  |
| ١٩٩ | تقسيم الدولة الرومانية                  |
| ٢٠٦ | الدولة الرومانية النصرانية              |
| ٢٠٦ | القيصر قسطنطين الاعظم                   |
| ٢١١ | الاغارات الاخيرة للامم المتبربرة        |
| ٢١٧ | القيصر چوستينيان الاول                  |
| ٢٢٢ | مجموعة القوانين الرومانية               |
| ٢٢٨ | تأثير القانون الروماني على النظمات      |